مِيثَاقُ الشَّرَفِ الدَّعوِيّ

نَحوَ بِنَاءِ عَمَلٍ دَعوِيٍّ مُعتَدل

الدكتور
هشام الطالب

الطبعة الثانية - مزيدة ومنقحة
٢٠٢٠م

مِيثَاقُ الشَّرَفِ الدَّعوِيّ

نَحوَ بِنَاءِ عَمَلٍ دَعَوِيٍّ مُعتَدِل

مِيثَاقُ الشَّرَفِ الدَّعوِيّ

نَحوَ بِنَاءِ عَمَلٍ دَعَوِيٍّ مُعتَدِل

الدكتور

هشام الطالب

الطبعة الثانية - مزيدة ومنقحة

٢٠٢٠م

© Hisham Altalib, 2019

This book is in copyright. Subject to statutory exception and to the provisions of relevant collective licensing agreements, no reproduction of any part may take place without the written permission of the author.

Hisham Altalib
P.O. Box 669, Herndon, VA 20172, USA

ISBN 978-1-945886-02-7

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾

فكرة الميثاق

دعوة المسلمين عامة، والدعاة منهم خاصّة إلى التلاقي على مجموعة من القواعد والضوابط والمبادئ؛ تشكل في مجموعها ميثاق شرفٍ للعمل الدعوي، ودستور ثقافة للفكر والممارسة؛ بحيث تزداد مساحة الوفاق، والصواب، والفاعلية، وتقلُّ مساحة الخلاف، والخطأ، والعطالة.

المحتويات

مقدمة الطبعة الثانية **١٥**
مقدمة الطبعة الأولى **١٧**
رؤية حول الميثاق ٢٩
المحور الأول: الإسلام الذي ندعو إليه **٣٣**
التوحيد كاملاً ٣٥
دين التَّوحيد والوَحْدَة ٣٧
العودة إلى المصادر الأصلية ٣٧
الإسلام دين الله وهو دين شامل ٣٨
شمول معنى العبادة ٣٩
الأُخوَّة الإسلامية ٤٠
المؤمن القوي ٤٠
التحذير من التَّدين المغشوش ٤١
الطاعات والمعاصي ٤١
المحور الثاني: قضايا إسلامية **٤٣**
الأُسرة في الإسلام ٤٥
المرأة في الإسلام ٤٥
الحرية في الإسلام ٤٦

حقوق الإنسان في الإسلام ٤٧
الأخوة الإنسانية في الإسلام ٤٧
انتماءان متكاملان ٤٨
المحور الثالث: العلاقة بين العاملين في الدعوة أفراداً ومؤسسات .. ٤٩
احترام التَّخصُص ٥١
الداعية والموقع الأفضل ٥١
تكامل العمل الدعوي ٥١
جادّة مشتركة ٥٢
وحدة فكرية ٥٣
جماعةٌ من المسلمين ٥٣
بين الرسمي والشعبي ٥٤
العمل المؤسسي ٥٥
روح الفريق ٥٥
الشورىٰ ٥٥
تداول سِلْمي ٥٦
خصوصية مطلوبة ٥٦
تَقديـرٌ لا تَقدِيس ٥٧
مرحباً بالآخر ٥٧
لا نحتكِر الصواب ٥٨

المحور الرابع: التطوير والتأهيل في العمل الدعوي **٥٩**
تحديد الأهداف ٦١
نحو المستقبل ٦٢
تجديد بصيـر ٦٣
الاكتفاء الذاتي ٦٣
نموذج يحتذىٰ ٦٤
مكانة لا تُطلَب ٦٤
تقديم الأَجْدَر ٦٥
التزام لا بدَّ منه ٦٦
النَّرجسيّون ولحظة الافتراق ٦٦
روح إيجابية ٦٧
دائرتا التأثير والاهتمام ٦٧
مسؤولية البشر ٦٨
بل هم مسؤولون ٦٩
أهمية المحاسبة ٦٩
المحور الخامس : فِقْه الدعوة **٧١**
فِقْه الاجتهاد الجماعي ٧٣
فِقْه الخلاف ٧٣
فِقْه التمذهب الفقهي ٧٥

فِقْه المقاصد ٧٦
فِقْه الأولويات ٧٦
فِقْه المـآلات ٧٧
فِقْه الواقع ٧٧
فِقْه الوسطية والاعتدال ٧٨
فِقْه المصالح والمفاسد ٧٩
فِقْه السُّنن الإلهية ٧٩
فِقْه التَّدرُّج ٨٠
فِقْه المرحلية ٨٠
فِقْه الاصطفاء ٨٠
فِقْه التّعامل مع الفتن ٨٢
المحور السادس : قضايا منهجية **٨٣**
الإسلام والعمل الدعوي ٨٥
المنهج الأفضل ٨٥
الدَّعوة العَامَّة ٨٥
المبادئ القرآنية هي المرجعية ٨٦
البدء من حيث انتهوا ٨٦
كتابات واضحة ٨٦
مصطلحات دقيقة ٨٧

تنمية الشعور بالمخاطر ٨٨
الإخلاص والصواب معاً ٨٨
حماسة مُنضَبِطَة ٨٩
شجاعة الإقدام ٩٠
شجاعة الإحجام ٩٠
هدوء مطلوب ٩١
العبرة بالمسمَّيات لا الأسماء ٩١
مجتمعاتنا مُسلِمة؛ ولكن ٩١
الـمُهتدون الجُدد ٩٢
انتصارات وانكسارات ٩٣
الموقف من أحاديث الفِتَن والملاحم ٩٣
المستقبل للإسلام ٩٤
المحور السابع : أهداف ووسائل وأساليب **٩٥**
أهداف ووسائل ٩٧
العناية بالنابهين ٩٧
أَدَب الحوار ٩٧
حين يكون الـمَفضول أَوْلَىٰ ٩٨
الـمَرَح المطلوب ٩٨
لا للمراء ٩٨

أهمية العَرَبيَّة ٩٩
الوسيلة والغاية معاً ١٠٠
المحور الثامن : محاذير منهجية **١٠١**
رسالة لا حِرْفَة ١٠٣
مرجعية قيادية واحدة ١٠٣
خوادع التغيير ١٠٤
ردَّة الفعل ١٠٤
التَّرَفُ العَقْليُّ ١٠٥
تعصُّبٌ وانحياز ١٠٦
استعلاء ولكن ١٠٦
عَادةٌ لا دِين ١٠٧
انكفاءٌ وارتماءٌ وارتخاءٌ ١٠٧
سَمَرٌ فارغٌ ومدمِّر ١٠٨
قُصُور بالغ ١٠٩
مخاطر السِّرِّيَّة ١١٠
مخاطر التَّعميم ١١٠
المؤامرة ١١١
تناقضات نافعة ١١٢
الخـــاتمة **١١٣**

مقدمة الطبعة الثانية

تؤكِّد العودة إلىٰ هذا الميثاق بعد عقدٍ من الزمان من صدور طبعته الأولىٰ بِنِيَّة خالصة، وعقل يقظ، ورغبة في التحسين، ووعي دقيق للعِبَر التي أمكن استخلاصها من أحداث هذه السنوات الحافلة أنه عمل حكيم نبيل يبتغي وجه الله عَزَّوَجَلَّ، يريد خدمة الأمّة بعامّة، بعيداً عن ضيق الطائفية، والحزبية، والإقليمية، والعنصرية، يقدِّم الجوهر علىٰ العَرَض، والغاية علىٰ الوسيلة، والمضمون علىٰ الشكل، بحيث يمكن وصفه بأنه ورقة عمل مقدَّمة للجميع، للانتفاع بها، وإقرار مزاياها، والتنبيه إلىٰ ما فيها من ثغرات ونواقص، وتطويرها.

وعلىٰ ضوء هذا الروح الميمونة؛ تم إعداد الطبعة الثانية، وفيها إضافة لقواعد مهمّة، وتعديل في بعض العبارات لتكون أكثر إحكاماً ورضاً، وأدقَّ دلالةً، وإكمالٌ هنا، واختصارٌ هناك، وغير ذلك، وبذلك جاءت أحسن من أختها الأولىٰ، وعسىٰ أن تأتي الطبعة الثالثة أحسن من أختيها السابقتين.

وقد لقي الميثاق ثناءً مستطاباً، نكتفي منه بثناء معالي الأستاذ الصالح صالح الحصيِّن عليه رحمة الله، وهو ثناءٌ مُقدَّر مُحترم؛ لأنَّ صاحبه رجل عميق النظر، ذو حظ طيب من فِقْه العالم الشَّرعي، ودقة الرجل القانوني، فضلاً عن رجاحة العقل، والإخلاص النادر، والزهد

الاختياري، يضاف إلى ذلك أنَّه محيط إحاطة جيدة بمزايا العمل الإسلامي وأخطائه، وأنه على أدبه الجمّ لا يجامل الآخرين في الثناء عليهم بما لا يستحقون لا في قليل، ولا في كثير، رحمه الله رحمة واسعة، وعوّض المسلمين عنه خير العوض.

كما أنني لا أدعي لدراستي العصمة أو الكمال، فهذا شأن الرسل والأنبياء، ومن ظن أنه قد أحاط بالعلم فقد جهل نفسه، فالعلم بحر لا شاطئ له.

وأتمثل قول القائل "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر."[1]

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

هشام الطالب

١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

---

(١) تنسب هذه المقولة للقاضي عبد الرحيم البيساني. انظر:

- القنوجي، صدّيق بن حسن. **أبجد العلوم «الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم»**، تحقيق: عبد الجبار زكار، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م، ج١، ص٧٠.

مقدمة الطبعة الأولىٰ

تسري في العالم الإسلامي يقظة إسلامية شاملة، وهي ظاهرةٌ إيجابيةٌ مباركةٌ تدل علىٰ تنبُّه الأمة الإسلامية، وإفاقتها من غفلتها، وإحساسها بذاتها، واعتزازها بدينها، وسعيها للخروج من تخلفها، والتحرر من التبعية في الفكر والحياة.

وشاء الله عَزَّوَجَلَّ -وله الـمِنَّة والفضل- أن تصل هذه اليقظة إلىٰ البلدان غير الإسلامية، حيث توجد جاليات مسلمة مغتربة للعلم أو العمل، ومما يُحمد لهذه الجاليات أنها بدأت في السنوات الأخيرة تفكر في العمل المؤسسي المنظَّم؛ بحيث تكون لها مراجع فقهية تفتيها في شؤون دينها ودنياها، ومراجع إدارية تحل مشكلاتها، وتخطط لها، وتمثلها أمام الجهات الرسمية، حيث تقيم، وفي هذا كسب كبير يدل علىٰ أن هذه الجاليات بدأت تتجاوز أحلام طالب يدرس، أو زائر يتجول، أو فقير يرتزق، فإن هؤلاء مهما كانوا قادرين وأخياراً، أمر عارض، وقدرة محدودة، وجهد طيب، لكنه قليل الجدوىٰ والفاعلية.

بعض المظاهر

وتتمثل هذه المظاهر المباركة في صور شتّىٰ، تختلف وتتباين تبعاً للظروف المحيطة، فهي مركزٌ إسلامي لبعض المغتربين، أو مسجد، أو

شركة استثمار، أو مؤسسات مالية، أو مشاريع قروض للمساكن، أو مجلة أو صحيفة، أو نشاط في التأليف والترجمة والنشر، أو مبعوث لتبليغ الدعوة مرسل من هذه الجهة أو تلك، أو مجموعة تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية في بلد مسلم، أو حركة تجاهد لتحرير بلد مسلم من الاحتلال، وهكذا.

ولا ريب أنَّ هذا كله أمرٌ سارٌّ ومبهجٌ يستحق التشجيع والدعاء، وهو في ذات الوقت جدير أيضاً بالتقويم والتسديد والترشيد.

عوامل متعددة

هذه اليقظة هي وليدة عوامل عديدة، وحصيلة مجموعة من الجهود الجماعية والفردية، المنظَّمة والعفوية، الرسمية والشعبية، وقبل ذلك كله هي تعبير عفوي فطري أصيل، يدلُّ على رغبة الأمة في العودة إلى حقيقتها وأصالتها، وبرهان ساطع على أن هذا الدين محفوظ بحفظ الله عَزَّوَجَلَّ ورعايته.

والذي يدرس هذه الظاهرة، ويريد أن يؤرخ لها، سوف يصعب عليه أن يحدد لها بداية دقيقة في زمن محدد، ذلك أن لهذه الظاهرة ومثيلاتها جذوراً قديمة تخفى وتظهر، وجهوداً ممتدة تبدو وتغيب.

ثم إن العمل الدعوي عمل مستمر كان، وسوف يبقى، ولا يمكن أن ينقطع، إنه يضعف ويقوى، ويخطئ ويصيب، ويمرض ويصح، لكن بقاءه سنة إلهية، وسنن الله لا تزول ولا تحول.

قانون التَّدافُع

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١]، فمن جميل لطف الله عَزَّوَجَلَّ ورحمته وعدله، أن جعل قوانينه جميعاً، ومنها "قانون التَّدافُع" هذا، قوانين مطّردة ومحايدة، لا تنحاز ولا تعادي، ولا تحابي أحداً أو جماعة أو ديناً، بل الجميع أمامها سواء، فمن أحسن التعامل معها فاز أياً كان، ومن أساء التعامل معها خاب أياً كان، ومن فوائد "قانون التدافع" هذا أنه يمنح الأمل للدعاة بما يهيئ لهم من فرص، ويحمي الحياة من أن تأسن وتفسد بالجمود، ثم إنه يذكِّر المسلم دوماً بأن المهيمن الحقيقي علىٰ الكون هو الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الأمر يمنح المسلم مزيداً من الثقة والسكينة، والتوكل والفاعلية، ويربط علىٰ قلبه.

وجلَّت حكمة الله عَزَّوَجَلَّ التي تجعل في ثنايا الشر خيراً، وفي ثنايا الخير شراً، وجلَّت حكمته تعالىٰ شأنه؛ حيث جعل "قانون التدافع" قانوناً دائماً مطّرداً، فكل قوة في الأرض -شاءت أم أبت- في حركة دائبة، وهي دافعة ومدفوعة، ومن خلال هذه الحركة تأتي الفرصة للأخيار والأشرار، والمسلمين وغير المسلمين، ليحسنوا أو يسيئوا، من خلال تعاملهم معها تعاملاً عاجزاً أو تعاملاً فاعلاً.

التَّحرُر والتَّحرير

حين كان الاستعمار في أَوْج قوته؛ سيطر على العالم الإسلامي كله، باستثناء الحجاز ونجد وأفغانستان وبعض اليمن. ويومها هبت الأمة تدافع عن أرضها، وبذلت جهوداً هائلةً انتهت بالتحرير. وهي الآن مطالبة بتحرير فكرها من الاستعمار الثقافي، كما حررت أرضها من الاستعمار العسكري.

والاستعمار الثقافي أخطر من الاستعمار العسكري، لأن العسكري يحتل الأرض، فيراه الناس ويكرهونه ويحاربونه، والثقافي يحتل العقل، وقد لا يراه الناس فيغفلون عنه، بل ربما أحبوه، ولذلك فمهمة الأمة الآن في التحرير أكبر، ويزيد من خطورتها أن الاستعمار الثقافي يجدد دائماً في وسائله وينوّع ويضلل. ومن الإنصاف للأمة أن نشهد لها أنها بذلت في ذلك جهوداً مشكورة، وحققت نجاحات مذكورة، ولكِنْ عليها الاستمرار فيما فعلت وتفعل حتى تنتهي من الاستعمار الثقافي جملةً وتفصيلاً.

هزيمة عام ١٩٦٧م

على أنَّ عام ١٩٦٧م كان نقطة تحول في التاريخ الحديث، فهزيمة العرب أمام (إسرائيل) يوم ذاك كانت زلزالاً نفسياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً لهم، وقد أدى هذا الزلزال -من بين ما أدّى إليه- إلى سخط الناس على القيادات التي تسببت في الهزيمة، وعلى المبادئ

التي تبنتها هذه القيادات، من ثورية، وعلمانية، واشتراكية، وليبرالية، وقومية، وبعثية، فزهدوا فيها وكرهوها، وأخذوا يبحثون عن البديل، وهنا اتجهوا إلىٰ الإسلام، ولا غرابة؛ فهم مسلمون أولاً وأخيراً، ثم إن الجماعات كالأفراد تفيء إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أيام المِحَن والخطوب.

من هنا يمكن القول إنَّ هزيمة عام ١٩٦٧م أعطت الأمة الإسلامية قوة دافعة، ولذلك فهي مَعْلَمٌ مهمٌ من معالم تاريخها، فالذي يرجع بذاكرته إلىٰ ما حدث بعد هزيمة ١٩٦٧م، يجد أن الأمة حاولت أن تتجاوز هذه الهزيمة في حربها علىٰ (إسرائيل) عام ١٩٧٣م، ودحر الاحتلال السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٨٩م.

سقوط الاتحاد السوفيتي

استمرت اليقظة تتقدم في العالم كله، وكان في تقدمها هذا مقدار من الخطأ يتفاوت من زمان إلىٰ زمان، ومن مكان إلىٰ مكان، ومن مدرسة دعوية إلىٰ أخرىٰ، لكن هذا المقدار من الخطأ لم يكن ليلغي ما فيها من صواب، ولم يكن ليعطّل تقدمها المستمر، حتىٰ جاء زلزال هائل دفعها خطوات إلىٰ الأمام، ألا وهو سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م، وتفكُّكه؛ ذلك أنَّ هذا الاتحاد الضخم الكبير، قد انهار بأيدي أبنائه، فإذا به يصبح مجموعة من الدول بعد أن كان دولة واحدة عظمىٰ. وصاحبَ انهيارَه انهيارُ الشيوعية التي كانت فكرة إلحادية يتبناها. وكان بسببها يعادي الأديان عامة، والإسلام خاصة، وبذلك زال من العالم كيان

ضخم طالما شقي به الإسلام والمسلمون، فصارت فرصة العمل الدعوي أكبر؛ حيث أخذ يمتد في ثنايا هذا الكيان البائد، ويكتسب فيه مواقع جديدة. وهذا الزلزال أيضاً ثمرة من ثمار "قانون التدافع"، والأمر لله من قبل ومن بعد.

بُرجَا نيويورك ١١/ ٩

وبعد عشر سنوات جاء زلزال ثالث، وهو تدمير برجي التجارة العالميين في نيويورك عام ٢٠٠١م، لقد وقع هذا الزلزال، وكثرت فيه التأويلات والتفسيرات، وربما يبقى لغزاً من ألغاز التاريخ، لكنه بما تلاه من (احتلال) أمريكا لكلٍّ من أفغانستان والعراق، وما تلاه من تداعيات إعلامية، وسياسية، واقتصادية، وعسكرية، وثقافية، جعل الإسلام في الأرض عامة، وفي أوروبا وأمريكا خاصةً، حديث القاصي والداني، وأكثر من يتحدث عنه يتحدث بسوء نية، أو بجهل، والمنصفون من المتحدثين قلة. لكن هذا الحديث بخيره وشره جعل الإسلام موضع اهتمام الكثيرين، وهذه فرصة ممتازة تدعو العاملين في الحقل الدعوي إلى أن يحسنوا تقديمه لهم. وهذه أيضاً ثمرة مباركة من ثمار "قانون التدافع"، والأمر لله من قبل ومن بعد.

لكأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ، وله الحكمة البالغة، يريد بما مرَّ، وبما سيمرُّ من أحداث هائلة أن تُحْرَثَ الأرض حرثاً شاملاً، الأمر الذي يجعلها مقبلةً على دينه القويم، فتخرِج الإنسانية من الضلال إلى الهدى، ومن

الشقاء إلى السعادة.

وعي مهمٌّ ومطلوب

وأياً كان الأمر فإنَّ على الأمة أن تعي جيداً الآتي:

- هذه الفرصة النادرة للتعريف بالإسلام سوف تزول إذا لم يحسن الدعاة الأكفاء المخلصون التعامل معها.
- سنن الله عَزَّوَجَلَّ لن تمنح الأمة الإسلامية نصراً مجانياً لمجرد إسلامها.
- ينبغي أن ينفر عددٌ من أبناء الأمة الإسلامية الأذكياء الأكفاء المتجردين، ليقوموا برصد الخطأ في العمل الدعوي قبل أن يقع والتحذير منه، وتطويق الخطأ بعد أن يقع، ومعالجته بأقل الخسائر.
- وأن يعملوا على استشراف آفاقٍ ووسائلَ وأدواتٍ جديدةٍ للعمل الدعوي؛ حتى لا يتجمد، فيقع في دائرة العجز والعطالة.
- وأن يعملوا على تسديد مسار العمل الدعوي، وترشيده.
- وأن يعملوا على زيادة مساحة الوفاق بين العاملين، وتضييق مساحة الخلاف فيما بينهم.

مشكلات ومحاذير

لقد جاءت اليقظة على قَدَرٍ، وفرح الناس بها، واستبشروا، وأخذوا

يبنون عليها أحلامهم الوردية.

وحتى تكتمل الصورة؛ فإنه لا بدَّ من التأكيد على أن هذه الظاهرة الطيبة محفوفة بكثير من المشكلات التي تؤذيها، وتعرقل حركتها

- فترى بعضها يخالف بعضها الآخر، وربما يعاديه، ويكيد له، فتنشأ الفتن، وتكثر العداوات، وتشيع الفُرقة، حتى بات بعض الناس يرى أن الخلافَ بين المسلمين عامة، والعاملين للإسلام خاصة، حقيقةٌ صارخة، ومرضٌ مزمنٌ، وداءٌ عضالٌ، لا يكاد ينجو منه إلا مَنْ رَحِمَ ربي.
- يضاف إلى ذلك أن بعض الجهود المخلصة ينقصها الصواب، فتنفق حيث لا تدعو الحاجة، وربما اختارت المفضول الممنوع مع وجود الأفضل المتاح، بل ربما أنفقت فيما يضرُّ ويؤذي.
- ويضاف إلى ذلك أيضاً أن أكثر العاملين في الحقل الدعوي تغلب عليهم السذاجة والطيبة، اللتان تصلان إلى درجة الغفلة؛ الأمر الذي يسهِّل اختراقهم وتوريطهم من قبل بعض الأشرار؛ فيدفعونهم إلى حماقات غبية، ومغامرات مهلكة تؤذيهم، وتؤذي البلاد والعباد، وتُكَرِّه الناس فيهم، بل ربما كرَّهتهم بالإسلام نفسه، وخوَّفتهم منه، ولعل أكبر ميدان يظهر فيه جهل هؤلاء؛ هو الميدان السياسي، فقد كانت لهم في هذا الميدان جهود وتضحيات، ثم كانوا هم أول ضحاياها، لقد دفعوا ثمناً فادحاً،

كما دفعت البلاد والعباد ثمناً باهظاً أيضاً، وهو الأخطر والأفظع.

أسباب المشكلات

ولا ريب أن مثل هذه الظاهرة لا يمكن أن تُعْزَىٰ إلىٰ سببٍ وحيد، فلا بدّ من إرجاعها إلىٰ مجموعة معقدة متداخلة من الأسباب المختلفة، منها المباشر ومنها غير المباشر، ومنها السذاجة والغفلة، ومنها العجلة والارتجال، ومنها سهولة الاختراق والتوريط، ومنها الجهل بسنن الله عَزَّوَجَلَّ وبقوانينه، ومنها المطامع والأهواء التي تلبس لبوساً دينياً وأصحابها طلاب مغانم ورئاسة وثارات، ومنها ما يتعلق بقدرة الناس علىٰ الفهم والاستيعاب، ومنها ما يتعلق بطبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة، وهي مرحلة خطرة حرجة لها مضاعفاتها وانعكاساتها السلبية علىٰ شتىٰ المجالات، ومن بين ذلك مجال الدعوة الإسلامية.

إذا كان الأمر كذلك من حيث تشخيص هذه الظاهرة الخطيرة، وجب علينا أن نقرر بأن العلاج لا يمكن أن يكون بتقديم حلٍّ وحيد، بل لا بدّ من مجموعة متكاملة من الحلول التي يسند بعضها بعضاً، ويقوِّي كلٌّ منها أخاه.

بداية العلاج

ولعلّ الحل الذي ينال المرتبة الأولىٰ من بين هذه الحلول، ويجعل له أهمية خاصة، هو تصحيح القواعد العامة للعاملين في حقل

الدعوة الإسلامية.

ذلك أن القواعد تحكم -إلى حد كبير- التصورَ العام للإنسان، وطرائق المحاكمة والتفكير عنده، وأسباب العمل والممارسة فيما يفعل.

ومن المعروف المقرر الذي يحتل مكانة البداهة التي يجمع عليها الناس أن التصور الخاطئ يقود إلى سلوك خاطئ، وأن التصور الصحيح يقود إلى سلوك صحيح.

وابتداءً؛ فإنه ليس من أحدٍ يدعي أن مجرد تصحيح القواعد سوف يقضي على هذه الظاهرة، ولكن يمكن القول إنه سوف يخفف منها إلى حد كبير.

إن الأمة في حاجةٍ ماسةٍ إلى تسديدٍ، وتقويمٍ، ونصحٍ، ومراجعةٍ؛ لكونها عملاً بشرياً فيه الصواب، وفيه الخطأ.

التهديد الداخلي والخارجي

وإذا كانت هذه النهضة مهدَّدة من خارجها، فإنها مهددة من داخلها أيضاً، والتهديد الداخلي كان ولا يزال أخطر من التهديد الخارجي، وأشد فتكاً.

وإذا كان التهديد الخارجي يأتي من أعداء الإسلام بشتى أنواعهم، فإن التهديد الداخلي يأتي من داخل الأمة نفسها، من فهمٍ خاطئ، أو عقلٍ أعوج، أو نزعةٍ نفسيةٍ غير سوية، أو من العجلة التي لا تتفق مع

طبائع الأشياء، أو من جهة المثالية غير الواقعية، وما إلىٰ ذلك.

الحاجة للميثاق

ومن هنا تأتي الحاجة إلىٰ إعداد ميثاق شرف يُقَدَّم إلىٰ العاملين في حقل الدعوة الإسلامية؛ ويتناول القواعد الأساسية التي يمكن أن تستوعبهم جميعاً، أو تستوعب أكبر عدد منهم، ويرسم هذا الميثاق أبعاداً جادة عريضة مشتركة تتسع لجميع العقلاء والغيورين، وتسمح بمقدارٍ من التنوع ضمن الإطار المشترك؛ لأن الناس لا يمكن أن يكونوا نسخاً متكررة متشابهة في كل شيء، وهو ما يمكن أن يطلق عليه شعار "التنوع ضمن إطار الوحدة"، أو "اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد".

من أجل ذلك، وشعوراً بمسؤولية الأمانة، ونهوضاً بواجب النصح والتسديد والتجديد، يطيب لنا أن نتقدم بهذه القواعد الأساسية التي نرىٰ أن في الوعي بها، والانتفاع منها، ما يدفع بالأمة الإسلامية خطوات مهمة إلىٰ الأمام، حتىٰ تؤتي أكلها علىٰ خير ما يرجىٰ منها، بإذن الله.

وبعد

فالمأمول أن يكون هذا الميثاق نوراً هادياً يلتقي عليه الدعاة، ويتواثـقون عليه، بدوافع ذاتية اختيارية من الشرف والصدق، ومن هنا جاءت تسميته "ميثاق الشرف الدعوي"؛ لأن التلاقي عليه إنما هو في النهاية ثمرة الاقتناع الحر، والالتزام الطوعي، والإرادة الشريفة، والثقة

الراسخة، والإعجاب بما اشتمل عليه بين دفتيه.

والمأمول أيضاً: أن يخضع هذا الميثاق للدراسة الجادة من الدعاة الأكفاء الغيورين؛ بهدف الاستفادة من صوابه، والتنبيه إلى أخطائه، واقتراح قواعد جديدة له؛ حتى تكون كلُّ طبعة منه خيراً من سابقتها.

ربنا وفِّقنا لما يرضيك، واستعملنا في الخير، وارزقنا النية الخالصة مع الصواب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

هشام الطالب

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

رؤية حول الميثاق

ومن الجدير بالذكر أن هذه القواعد حصيلةُ جهدٍ، ومعاناةٍ، وتأملٍ، ومراجعةٍ، وقراءةٍ، ومراقبةٍ طويلةٍ ومستمرةٍ للخطأ والصواب في مجال العمل الدعوي، وفيها ما تمت صياغته ابتداءً، وفيها مَا اقْتُبِسَ بمعناه أو بلفظه من هنا وهناك؛ لحصول الاقتناع به.

أهداف الميثاق

يهدف هذا الميثاق إلى تحديد مجموعة من القواعد التي يرجى أن تكون محل اتفاق من الجميع، تقع منهم موقع القبول والاحترام.

وإذا أردنا أن نلخص أهداف هذا الميثاق في عبارة موجزة دالة فيمكن القول إنها "تسديد مسار العمل الدعوي، والتقريب بين أبنائه، واقتراح آفاق جديدة له"

لمن يوجه هذا الميثاق؟

ثم إن هذا الميثاق موجه للجميع، ولكنه بالدرجة الأولى وبطبيعة الحال موجه للدعاة فهم الأجدر بالاستفادة منه، وهم الأقدر على تصحيحه والإضافة إليه.

ثمرة الميثاق

فإذا تم ذلك فإن المكاسب كثيرة جداً، ومن أبرزها:

- إشاعة روح المحبة والثقة بين الدعاة، والتقريب بين الرسمي والشعبي في العمل الدعوي.
- تقليل مساحة الخلاف والخطأ، وزيادة مساحة الوفاق والصواب.
- وتشجيع روح النقد البناء، وتوسيع آفاق النظر والتفكير، واستشراف آفاق الابتكار والتجديد.
- التعاون في المتفق عليه، والتسامح في المختلف فيه، والخروج من دائرة العطالة إلى دائرة الفاعلية.

طموح نبيل

يطمح هذا الميثاق إلى أن يكون:

- "ورقة عمل" مستمدة من القرآن الكريم والسُّنة المطهَّرة.
- بعيداً عن الإفراط والتفريط، ممثلاً للوسطية والاعتدال.
- لا يحمل صبغة حزب معين، أو تكتل خاص، أو جماعة محددة، أو مدرسة دعوية، أو اجتهاد فقهي، أو ولاء إقليمي، ولا يروج لواحدة من هذه الجهات ولا ينتقص من سواها.
- كما أنَّه يطمح أن يكون دستوراً فكرياً أخلاقياً تربوياً عملياً للدعاة، وحلف فضولٍ يعتمدونه ويُقِرّونه.
- إضافة نوعية لا نمطية تأخذ مكانها إلى جوانب مثيلاتها من الإضافات الجادة.

انحياز الميثاق

إن هذا الميثاق يطمح أن يكون انحيازه إلى:

- **الإسلام** الذي هو سبيل سعادتنا في الدنيا والآخرة.
- **الأمة** التي ننتمي إليها، ونفخر بهذا الانتماء ونعتز.
- **العمل الدعوي** الذي هو أشرف مهمة في الحياة، وهي مهمة الأنبياء المرسلين.
- **الوطن** الذي يحتضن الدين، واللغة، والتراث، والعباد، والماضي، والحاضر، والمستقبل.
- **الأجيال القادمة** من الدعاة لتكون أكثر صواباً وأقل خطأً.

صفات الميثاق

لذلك؛ فالميثاق يحرص كثيراً على أن يتصف بالدقة، والموضوعية، والنزاهة، والحياد، والوضوح، والأسلوب العلمي المتزن، وبروح الأدب العالي، واللسان العفِّ؛ بحيث يشعر القارئ أن وراء هذا الميثاق -حقيقةً لا تمثيلاً- روحاً خيرة ذات آفاق رحيبة، وصدراً واسعاً، ورغبة صادقة جادة في خدمة العمل الدعوي.

المحور الأول

الإِسلامُ الّذي نَدعُو إِليهِ

١ - التوحيد كاملاً

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

نؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ؛ وأنه خالق الكون وحاكمه، وأنه وحده المعبود بحقٍّ، المتصف بكل صفات الجلال والكمال والجمال، المنـزَّه عن كلِّ نقصٍ، ونحبه، ونوحِّده، ونعظِّمه، ونخافه، ونرجوه.

وندعو المسلمين عامةً، والدعاة خاصةً، إلىٰ إعطاء موضوع العقيدة؛ فهماً وإيماناً، شعوراً وسلوكاً، الأولويةَ المطلقة علىٰ ما سواها؛ فهي الأصل الأول والأكبر لكل قضايا الدين بأصولها وفروعها، وهي الأصل الذي يصاحب هذه القضايا باستمرار، كما يصاحب حياة المسلم في كلِّ شيء.

إن العقيدة ليست فصلاً في كتاب يقرؤه المسلم ثم يطويه لينتقل إلىٰ ما بعده، بل هي الفصل الأول الذي يقرؤه المسلم، ثم يستصحبه دائماً معه، وهو يقرأ بقية الفصول.

إن العقيدة هي حالة فكرية ووجدانية وتطبيقية ترافق المسلم، وتحكم حياته كلها حتىٰ يموت، وهذا يستدعي -من بين ما يستدعيه-

أن يعرف المسلم معرفة عميقة دقيقة شاملة لوازم هذه العقيدة، وأهمها توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وإفراده بالعبادة، وتطبيق أحكامه، كما يستدعي منه أن يعرف نواقض هذه العقيدة التي تخرجه من الدين كلياً أو جزئياً، ومن أعجب العجب أن يحفظ أطفال المسلمين في هذا العالم نواقض الوضوء ولا يحفظون نواقض العقيدة، وكل ذلك مطلوب. ولكن شتان بين هذا وذاك.

ومن جهة أخرىٰ؛ ينبغي الحذر من أن يتحول موضوع التوحيد إلىٰ مجرد حفظ آلي حرفي جاف، يتوهم أصحابه أنهم وحدهم علىٰ الهدىٰ، وتشيع فيهم روح الغرور والاستعلاء، فيتعاملون مع سواهم بخشونة واستكبار.

إن الثقة بموقفهم الحق محمودة ومطلوبة، لكن ينبغي لها أن تقترن بعاطفة طيبة إزاء الآخرين، وبذلك يكونون دعاة محبوبين لا منفِّـرين، ورحماء لا قساة، ويصبح التوحيد في حياتهم بأفضل صوره عقلاً وضميراً وسلوكاً.

وقد لخّص بعض العلماء شروط تحقيق التوحيد (لا إله إلا الله) بسبع كلمات، هنَّ العلم المنافي للجهل، اليقين المنافي للشك، الإخلاص المنافي للشرك، الصدق المنافي للنفاق، القبول المنافي للرد، الانقياد المنافي للترك، المحبة المنافية لعدمها.

٢- دين التَّوحيد والوَحْدَة

الإسلام دين التّوحيد، ودين الوَحْدَة، فالأمة المسلمة توحِّـد ربها في عليائه، وتوحِّـد حركتها في أرضه، لذلك ينبغي للعمل الدعوي أن يُعنى بالدعوة إلى الوحدة فكراً وشعوراً وممارسة، ويحذر من الفُرقة فكراً وشعوراً وممارسة، والوحدةُ قوَّةٌ ورحمةٌ وبركةٌ وفاعليةٌ، كما أنها مدعاةٌ لعون الله عَزَّوَجَلَّ ونصرته، والفُرقة عكس ذلك.

إن العمل الدعوي لم يستطع أن يقدم للأمة مكاسب تكافئ جهوده وتضحياته الكثيرة من أجلها، مع ما لـه من رصيدٍ كبيرٍ لديها، ومع أنه المُعبّـر الحقيقي عن همومها وآمالها، ومرد ذلك إلى عددٍ من الأسباب في مقدمتها ما يعانيه العمل الإسلامي من فُرقة تصل أحياناً إلى الكراهية والعداوة. ومما يعين على تحقيق الوحدة المنشودة، أو الاقتراب منها، إخلاصُ النية لله عَزَّوَجَلَّ، وإشاعةُ الحبِّ، وتركُ الجدل في مسائل هي من هوامش العقيدة، وفروع الفقه، اختلف فيها السابقون، وتنازع فيها اللاحقون، المصيبُ فيها مأجورٌ، والمخطئُ فيها معذورٌ.

٣- العودة إلى المصادر الأصلية

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء: ٨٣].

لأننا نحبُّ الخيـر للناس أجمعين، ولأننا مكلفون بدعوتهم إليه؛ فإننا ندعوهم أن يتعرفوا إليه من مصادره الأصلية بقلبٍ مفتوحٍ، وعقلٍ منصفٍ، واثقين من أنهم سيجدون فيه الهدىٰ بعد الضلال، والحقَّ بعد الباطل، والأمن بعد الخوف، والسكينة بعد القلق، والعافية بعد البلاء، وأنهم سيجدون فيه أيضاً حلولاً لكلِّ مشكلاتهم، وإجابة عن كلِّ أسئلتهم.

٤ - الإسلام دين الله وهو دين شامل

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

نؤمن أن الإسلام هو دين الله عَزَّوَجَلَّ، الخالد، المحفوظ، الصحيح، الخاتم، وهو عندنا القضية، والهوية، والحلُّ، والماضي، والحاضر، والمستقبل، وهو سبيل سعادتنا في الدنيا والآخرة، ومنهج حياتنا الذي اختاره الله تعالىٰ لنا، نؤمن به، ونعتزُّ به، ونجاهد من أجله، ونفديه بكل غالٍ وعزيزٍ.

والإسلام دين الله عَزَّوَجَلَّ الأخير للبشرية، لذلك فهو منهج شامل؛ ينتظم شؤون الحياة كلَّها، علىٰ مستوىٰ الفرد، والجماعة، والدولة، فهو دينٌ، ودولةٌ، وقانونٌ، وعبادةٌ، واقتصادٌ، وأخلاقٌ، وصحةٌ، وعلاقاتٌ أسريةٌ، واجتماعيةٌ، ودوليةٌ، وما إلىٰ ذلك. إنه يرافق الإنسان من ولادته، إلىٰ حياته، وموته، ونشوره.

لذلك ينبغي للدعاة أن يركِّـزوا على مبدأ شمول الإسلام، ويعتزوا به، ويرفضوا محاولة حصر الإسلام في الشعائر التعبدية وحدها، ومن لوازم ذلك ألّا يستغرقوا في الفروع والجزئيات على حساب الأصول والكُلّيات، وإذا دعت الحاجة إلى تناول قضية فرعية أو جزئية فيجب أن تأتي في مكانها وزمانها وظرفها وحجمها المناسب فقط.

٥- شمول معنى العبادة

إن غاية الوجود الإنساني كله هي عبادة الله عَزَّوَجَلَّ الذي قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذا المفهوم الشامل للعبادة يجعل الإنسان أكثر طاعةً لله عَزَّوَجَلَّ، وأكثر فرحاً بصلته الدائمة به، وأكثر نفعاً للعباد والبلاد، ومن المؤسف أن هذا المفهوم اختُزِلَ لدى الكثيرين في الشعائر التعبدية فقط؛ فصارت عندهم هي كل العبادة. ومما يجدر ذكره هنا أن التقسيم الاصطلاحي المأثور في التراث الإسلامي إلى عقائد وعبادات ومعاملات، هو تقسيم علميٌّ دعت إليه مقتضيات الدراسة والتعليم، لا أكثر ولا أقل، لكن هذا التقسيم أدّى لدى بعضهم إلى حصر مفهوم العبادة في الشعائر التعبدية، وهو خطأ فادحٌ أدّى إلى شيوعه سوءُ الفهم من ناحية، وبروز الوجه التعبدي في الشعائر أكثر من سواه من ناحية أخرى، فمن أجل ذلك نؤمن بمفهوم العبادة بمعناه الواسع الذي كان عليه السلف الصالح، وندعو كل مسلم إلى تبني هذا المفهوم بحيث تشمل العبادة عنده كل شيءٍ؛ من العقائد، والسياسة، والشعائر التعبدية، والمعاملات، وعمارة الأرض، وتبليغ الرسالة، والمتع

الحلال، والترويح، والإتقان، والإحسان، وما إلى ذلك.

٦- الأُخوَّة الإسلامية

الأخوَّة الإسلامية مبدأ أصيل من مبادئ الإسلام، وركن ركين من قواعد العمل الدعوي، وشيوعها مدعاة لرضوان الله تعالى في سمائه، وللنصر في أرضه، وغيابها مدعاة لسخط الله عَزَّوَجَلَّ في سمائه، وللخذلان في أرضه، وعلى الدعاة أن يُعْلوا من شأنها على صعيدي الفكر النظري والممارسة العملية، ويحذروا من كل ما يخالف ذلك، وإن تحقيق الأُخوَّة بين الدعاة دفء ورحمة، وعون ونصرة، وبشارة تومئ إلى النَّصر، وغيابها هو عكس ذلك، إنه الكدر والقسوة، والأثرة والاستحواذ، ونذير يومئ إلى الخذلان.

٧- المؤمن القوي

إن علينا أن نسعى إلى إعداد المؤمن القوي؛ لأنه خير وأَحَبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، كما جاء في الحديث الشريف، وكما تكون القوة في العقيدة بالصِّحة، وفي الإيمان بالعمق، وفي السلوك بالاستقامة، وفي العقل بالوعي، تكون في الجسم بالقوة، وهذا يستدعي منا أن نُعنى بأجسامنا عنايةً متكاملةً متوازنة؛ وذلك بالحرص على كلِّ ما ينفعها كالغذاء والرياضة والنظافة، وما إلى ذلك، والحذر من كلِّ ما يؤذيها كالمخدرات والدخان والخمور وما إلى ذلك، وفي ذلك فوائد جمَّـة؛ منها أن تكون هذه الأجسام قادرة على حمل أعباء العمل الدعوي بكلِّ همةٍ واقتدار.

٨- التحذير من التَّدين المغشوش

التدين الصحيح هو عقلٌ يقظٌ، وقلبٌ سليمٌ، يكون صاحبه به شامةً بين الناس، ونموذجاً محبوباً يستدعي الإعجاب والاقتداء.

وإننا إذ نشيد بهذا التَّدين نحذِّر من نقيضه وهو التَّدين المغشوش؛ الذي يصدر عن عقلٍ مختلٍّ، أو قلبٍ معتلٍّ، أو الاثنين معاً؛ لأنه في بواعثه ومآله يعمل للأوهام أو المصالح أو لهما معاً، وصاحبه يكون مكروهاً بين الناس، ونموذجاً منفِّـراً.

لقد كان هذا النوع من التَّدين -وما يزال- من أسباب الصدِّ عن دين الله، ثم إن آثاره الضارَّة أسوأ بكثير من آثار المعاصي التي لا يحسب أصحابها على الدِّين.

ومن سمات التَّدين المغشوش إتقان الصورة الظاهرة، وإهمال الحقائق الباطنة، والعناية بالنوافل على حساب الفرائض، والانصراف إلى المصالح الشخصية، وإهمال المصالح العامة.

ومن سماته أيضاً أن يلبس أصحابه أهواءهم وسخائمهم وعجزهم لبوساً دينياً، وأن يتطلعوا إلى مكانة لا يستحقونها، وأن ينتقصوا من آخرين نالوا مكانة محترمة عن جدارة واقتدار.

٩- الطاعات والمعاصي

للقلوب طاعاتٌ ومَعاصٍ، وللجوارح مثل ذلك، وأعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح؛ لأنها تتصل بالقلب، وهو جوهر الإنسان،

وهو الذي يدفع إلىٰ الطاعة أو المعصية.

والنجاة من معاصي القلوب أصعب من النجاة من معاصي الجوارح. واكتساب طاعات القلوب أصعب من اكتساب طاعات الجوارح.

وعلىٰ المسلم أن يتجنب المعصية، ويلتزم الطاعة فيهما معاً، وبذلك يتحقق لـه التوازن المطلوب بين الشكل والجوهر، والصورة والمضمون، وصدق النية وحركة الجسد.

المحور الثاني

قَضَايا إِسلامِيَّة

١٠ - الأُسرة في الإسلام

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

الزواج بين الذكر والأنثىٰ هو الطريق الشرعي الوحيد لتكوين الأسرة؛ التي هي أول محاضن التربية وأهمها، وهي الأساس الأكبر في كيان الأمة، والمهد الطبيعي الفطري للأطفال والناشئة، ومسؤولية الإدارة فيها تقع علىٰ الأب والأم معاً؛ لذلك ندعو إلىٰ صيانتها وحراستها، وإعلاء قيمتها، وتهيئة الأدوات اللازمة لإنجاحها، ونقف بقوة ضد المحاولات الكثيرة والمتجددة لإلغائها، أو الانتقاص منها.

١١ - المرأة في الإسلام

تعاني المرأة المسلمة من ظلم كبير يلحقها من طرفين متشددين الأول هو الغلو العلماني الذي يسعىٰ إلىٰ إفساد المرأة المسلمة وإبعادها عن دينها وفطرتها وكرامتها وخصوصيتها. الثاني الغلو الديني الذي يسعىٰ إلىٰ تحنيط المرأة المسلمة وتجميدها والحجر عليها، ومنعها من أداء دورها في الحياة، وأصحاب هذا الغلو ملومون، حتىٰ لو كانت نيَّاتُهم خيِّرة. إن نظرة الكثير منهم إلىٰ المرأة نظرة شكٍّ، وريبة، واحتقار، وفهم مغلوط لمبدأ القوامة، ومردّ هذه النظرة إنما يعود إلىٰ الجهل بحقوق المرأة

في الإسلام وشخصيتها، وسيطرة العادات والتقاليد التي تراكمت عبر الزمن، وألبسها تقادمُها لبوساً دينياً، والدين منها براء.

إن على المسلمين عامة، والدعاة منهم خاصة، أن يثقوا بالمرأة، وينصفوها، ويهيئوا لها السبيل لأخذ مكانتها في الحياة، وفي طليعة ذلك دورها الدعوي، وفي ذلك فوائد كثيرة أبرزها تحقيق العدل، والعدل مبدأ إسلامي مهم، والانتفاع بجهودها في العمل الدعوي، ولا سيما المجالات التي تتفوق فيها على الرجل، وقطع الطريق على الدعوات الضالة التي تخدعها وتوهمها أنها تريد تحريرها، متذرعةً بالمظالم التي تلحق بها من هنا وهناك. إن الإسلام هو الذي حرر المرأة تحريراً عادلاً متوازناً، وحفظ لها حقوقها، وكرامتها، واستقلالها، وفطرتها، وخصوصيتها، وجعلها نصف المجتمع، وشقيقة الرجل، وصانعة الأجيال.

١٢- الحرية في الإسلام

ينبغي على الدعاة أن ينحازوا إلى الحرية على أن تكون مقيدة بالقانون المحلي. أما الحرية المطلقة فهي حماقة كبرى، بل مجموعة من الحماقات، وديننا يُعلي من قيمة الحرية، فيمنع الإكراه في الدين. ومن مفاخرنا الموروثة جملة الخليفة العبقري الراشد عمر بن الخطاب "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً!" وحين تأتي مساحة متساوية من الحرية للعمل الدعوي ولسواه؛ يكون السبق للعمل الدعوي؛ لأنه يخاطب الناس بالحق أولاً، وبما استقرَّ في ضمائرهم من

مواريث ثقافتهم الشرعية ثانياً، خلافاً لسواهم الذين لا يملكون هذه الميزة، لأنهم يخاطبون الناس بالباطل أولاً، وبما تنفر منه ضمائرهم وموروثاتهم الشرعية ثانياً.

١٣ - حقوق الإنسان في الإسلام

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

نؤمن أنَّ الإسلام هو أوَّل إعلان عالمي لحقوق الإنسان، فهو الدين الذي يوفر للإنسان حقوقه الكاملة؛ في حرية الاعتقاد، والكرامة الإنسانية، فضلاً عن التعليم، والزواج، والأمن، والرزق، والعدالة، والملكية، وما إلىٰ ذلك. ومنطلق الإسلام في ذلك إعلاؤه لقيمة الإنسان؛ فهو أكرم مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، وخليفته في أرضه، وكل ما في هذه الأرض مسخَّرٌ له.

١٤ - الأخوة الإنسانية في الإسلام

نؤمن أن البشرية هي أُسرة واحدة، تجمعها الأخوَّة الإنسانية، خالقها هو الله تعالىٰ، وأبوها آدم، وأمها حواء، من التراب خلقت وإليه تعود؛ لذلك ندعو الجميع من المسلمين وغيرهم إلىٰ التعاون المشترك فيما يعود بالنفع علىٰ الجميع، ومن ذلك تحقيق السّلم، وإشاعة الحرية، وإقامة العدل، ومكافحة الجريمة، ونشر العلم، ورعاية الطفولة، وخدمة المسنين، وحسن الجوار، والمحافظة علىٰ البيئة، واحترام العهود

والمواثيق. وأعظم ما يشهد بصحة هذه الفكرة ما جاء في خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع "يا أيها الناس إن ربَّكم واحدٌ، وإن أباكم واحد، كلكم لآدمَ، وآدمُ من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عَجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد" [رواه مسلم].

١٥ – انتماءان متكاملان

ينبغي للدعاة أنّى كانوا أن يحرصوا على صيانة الوطن، وأَمْنِه، ومنجزاته، وبيئته، ومستقبل أجياله؛ ذلك أن العلاقةَ بين الانتماء الفطري للوطن والقوم والانتماء الاختياري للدِّين والمبدأ؛ علاقةُ تكاملٍ وانسجام، لا علاقة تناقضٍ وتضاد.

المحور الثالث

العَلاقَةُ بَين العَامِلينَ فِي الدَّعوَة أَفراداً ومُؤسساتٍ

١٦- تكامل العمل الدعوي

الأصل في التعامل بين المنظمات الإسلامية هو **التكامل**، فإن تعذّر ذلك **فالتعاون**، فإن تعذر ذلك **فالاحترام والتعايش**، أما الرابعة فهي الهلاك.

١٧- احترام التَّخصُص

ينبغي لنا أن نسأل أهل الذكر في القضايا الشرعية ومسائل الشريعة، وأن نرجع إلىٰ أهل الخبرة في قضايا الحياة، فقد يكون زيدٌ من الناس داعيةً موفقاً مشهوراً لكنه ليس أهلاً للفتوىٰ، وقد يكون عالماً كبيراً قادراً علىٰ الإفتاء، ولكنه لا يصلح للإدارة في قليل أو كثير، وقُلْ مثل ذلك عن أمور الحياة.

١٨- الداعية والموقع الأفضل

ينبغي للداعية أن يختار الموقع الأفضل زماناً ومكاناً ومَهمَّة، بحيث يكون أداؤه فيه أنفع، وعليه أن يستشير في ذلك أهل الفضل والعقل والصراحة، لأنه -من حيث يدري أو لا يدري- قد يختار لنفسه ما دعاه هواه إليه.

وقد جاء في الحديث الشريف وصف الرسول الكريم ﷺ عدداً من الصحابة بميزاتهم، ففي صحيح مسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: "خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد -عبد الله بن مسعود-، ومعاذ

بن جبل، وأُبي بن كعب، وسالم مولىٰ أبي حذيفة".

وقال عن خالد بن الوليد: "نعم عبد الله خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله" [رواه الترمذي]، وقال: "أرحم أُمّتي بِأُمّتي أبو بكر، وأَشدُّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأَفْرَضُهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبَيُّ بن كعب، ولكل أمة أمينٌ؛ وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح" [رواه الترمذي].

ويستفاد من ذلك أن هؤلاء جميعاً أخيار، لكن لكل واحد منهم نقطة تفوُّق هو المتقدم فيها، والأقدر عليها.

١٩ - جادّة مشتركة

من المستحيل أن يكون الدعاة نموذجاً واحداً في الأهداف والوسائل والأولويات؛ فلا بدَّ من اختلاف كبير أو صغير بينهم، لكن المرء إذا أمعن النظر في الأمر وجد أن هناك نقاطاً كثيرة في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات يشتركون فيها، لكنَّ الخصومة -بغبارها وعنادها وأهوائها- تضيع ذلك، لأن مساحة الخلاف تضرب بعشرة أمثالها فتبدو أكبر، ومساحة الوفاق تقسَّم علىٰ عشرة أمثالها فتبدو أصغر، ولذا يمكن الجزم بأنه توجد بين الدعاة جادّة (طريق) متَّـفقٌ عليها، وأرضيةٌ مشتركة، ومن واجب الجميع أن يعرفوها، ويفرحوا بها، ويعملوا من خلالها، ويوسِّعوها بهدوء وصبرٍ واستمرارٍ لتستوعب أكبر عددٍ ممكنٍ.

٢٠- وحدة فكرية

من أسباب الفُرقة بين دعاة الإسلام غياب الحد الأدنى المشترك من الوحدة الفكرية بينهم، الأمر الذي أدّى وما يزال يؤدّي إلى اختلاف الغايات والوسائل والأولويات، فضلاً عن النفور، وربما الكراهية والأحقاد.

ولذلك يجب أن تأخذ قضية تعميق الوحدة الفكرية بين الدعاة عامّةً والشباب خاصّةً عنايةً فائقة.

ويكون ذلك بإشاعة الثقافة الشَّرعية القائمة على الكتاب والسُّنة، وروح الاعتدال، والتعاون، والتسامح، والأخوَّة، والإنصاف، فضلاً عن فِقْه الأولويات، وفنّ الحوار، وأدب الخلاف، والتأكيد على شمول الإسلام وصلاحيته لكلِّ زمانٍ ومكانٍ.

ومما يعين على ذلك اختيار مؤلفات يتم انتقاؤها بعنايةٍ فائقةٍ تنسجم مع هذا الهدف، وتوضع بين أيدي الدعاة والشباب، ويعاد النظر فيها بين الحين والآخر، تماماً كما تفعل أقسام المناهج والمقررات المدرسية في وزارات التربية والتعليم.

٢١- جماعةٌ من المسلمين

نؤمن أن أي جماعة أو حزب أو حركة دعوية هي جماعة من المسلمين، وليست جماعةَ المسلمين، وقيمة أي واحدة منها؛ إنما تكون بصوابها في الفكر، وإنجازها في الممارسة والتطبيق.

٢٢- بين الرَّسمي والشَّعبي

العمل الإسلامي **الرَّسمي هو** العمل الذي تقوم به جهاتٌ حكوميةٌ تابعةٌ للسلطة، والعمل الإسلامي الشَّعبي هو العمل الذي تقوم به جهاتٌ أهليةٌ غيرُ تابعةٍ للسلطة.

وقد جرت العادة -في غالب الأحيان- على وجود سوء ظنٍّ أو تربُّصٍ أو اتهامٍ أو عداوةٍ بينهما. وابتداءً لا بد لنا من أن نتذكَّر أمرين مهمين:

الأول أنه لا يوجد منهما من هو خطأٌ مطلقٌ، أو صوابٌ مطلقٌ، ففي كلٍّ منهما شيءٌ من هذا وذاك.

الثاني أنه قد يحصل تبادلٌ في الأمكنة؛ فيتحوَّلُ الشَّعبي إلى رسمي، أو يتحوَّل الرسمي إلى شعبي.

والمطلوب أن يبذلَ الفريقان جهداً دؤوباً حكيماً مخلصاً لبناء جسور الثقة، والتفاهم، والتعاون، والتسامح؛ لأن الدعوة مسؤولية الجميع، فإن وقع ذلك فالفوائد كثيرة جداً، وإلّا دخل الجميعُ من رسميين وشعبيين في مسلسل من المتاعب وربما النكبات.

إن القضية ليست سهلة، لكنها ليست مستحيلة، وهي بسبب أهميتها الفائقة تحتاج إلى جهدٍ فائقٍ علينا أن نبذله.

٢٣- العمل المؤسسي

نؤمن بالعمل المؤسسي الجماعي المنظَّم؛ الذي يحترم أخلاق الإسلام أولاً، ويلتزم أنظمته ولوائحه ثانياً؛ ليقيننا أن العمل المؤسسي في النهاية أنفع للأمة، وأدوم من العمل الفردي، وفي كلٍّ خير، وليقيننا أن العمل المؤسسي أكفأ وأقدر على المراجعة، والتصحيح، والتقويم، والتجديد، ثم إن الأفراد زائلون، ويبقى من بعدهم العمل المؤسسي المستمر.

٢٤- روح الفريق

نحرص على تأصيل روح الفريق بين العاملين، وتعميق مبدأ العمل المشترك لديهم، ومن ذلك تقدير ذوي السَّابقة، وتشجيع التواصل بين الأجيال؛ بحيث نستفيد من حكمة الشيوخ، وحماسة الشباب، وإيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، والاتفاق على طرق شرعية حضارية لمنع المشكلات والخلافات قبل وقوعها، وحلّها بأفضل الوسائل بعد وقوعها، وإشاعة روح العدل المالي والإداري بين العاملين.

٢٥- الشورى

قال الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولذا ندعو إلى الشورى، وتشجيع التفكير والإبداع، واحترام الآراء المخالفة والموافقة على حد سواء، ونعطي لكل إنسانٍ حقَّه في التفكير والتعبير، على أن يلتزم الجميع في النهاية بالقرار الـمُتَّخذ، ما لم

يكن ذلك مخالفاً لمبادئ الشريعة العامة والصريحة.

وحتى يكون القرار صواباً أو أقرب ما يكون إلى الصواب، فلا بدَّ من اتخاذه من قِبَلِ مرجعيته المعتمدة فقط، ويستدعي هذا أن تكون المعلومات اللازمة أمامها كاملة، كما يستدعي أن تكون المداولات صادقة، موضوعية، أمينة.

٢٦- تداول سِلْمي

ينبغي للدعاة أن يصلوا إلى آلية حكيمة، صريحة، حاسمة، يلتزمون بها، تحقق لهم تداول المسؤولية في مؤسساتهم الدعوية، بسلاسة ورضا وسلام ومودة، وفي ذلك ما يمنع الأثرة والاحتكار والوصاية، ويزيل الانقسامات والفتن، ويقضي على العجز والجمود، ويتيح الفرصة للتجديد والإبداع، ويزيد من مساحة التواصل بين الأجيال، ويعين على تدريب أكبر عدد ممكن على العمل القيادي، ويعمق روح الفريق، ويؤكد احترام العمل المؤسسي.

٢٧- خصوصية مطلوبة

من واجبنا أن نحب الدعاة العلماء والمصلحين السابقين والمعاصرين، وندعو لهم ونتأسى بهم، لكن لا يجوز لنا أن نقدّسهم، ولا يجوز لنا أن ننقل تجاربهم نقلاً حرفياً؛ يتجاهل خصوصيتنا التي ينبغي أن نراعي فيها الزمان والمكان والظرف، وبذلك نجتهد كما اجتهدوا، ونراعي كما راعوا.

٢٨- تَقديـرٌ لا تَقدِيس

من الطبيعي والفطري، والمطلوب النافع أيضاً أن يحبَّ المسلم قائده الدَّعوي، أو شيخه العلمي، أو إمام مسجده ومن إليهم، لكن هذا الحبَّ لا ينبغي أن يتجاوز مداه، وقد ضلَّ أصحـاب الديانات السابقة حين غلوا في تعظيم أنبيائهم، وصلحائهم، ومنحوهم الولاء من دون الله؛ فانتهوا إلىٰ الشرك بعد التوحيد. إن من الأمراض الشائعة بين المسلمين من عاديين ودعويين؛ ارتباطَهم بمراجعهم ارتبـاطاً غالياً، جعلوهم به معياراً للتمييز بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، وكأنهم معصومون، ناسين القاعدة التي تقول "نعرف الرجال بالحقّ، ولا نعرف الحقّ بالرجال".

وقد كان هذا الغلو -وما يزال- سبباً من أسباب فرقة المسلمين، وانتشار الأحقاد بين العناصر الدعوية منهم.

والحلّ أن يحبَّ الناس مَرَاجِعَهم باعتدال، وأن ينظروا إليهم علىٰ أنهم بشرٌ يصيبون ويخطئون، ولهم من الحبِّ والتقدير والولاء بمقدار ما عندهم من الحقِّ والإنجاز، فالمسلم طالب حقٍّ، والمرجع وسيلة وهو زائل، والفكرة غاية وهي باقية.

٢٩- مرحباً بالآخر

إن مبادئنا ليست ملكاً لنا، بل نحن مُلْك لها، لذلك ينبغي ألّا تضيق صدورنا بجهود الآخرين الذين يعملون لها، وإن كان لهم

أسلوب آخر، واجتهادات أخرىٰ، بل يجب أن نفرح بذلك، لأن جهودهم وجهودنا تلتقي في خدمة الدعوة، وعلينا أن نُحبَّهم ونُثمِّن جهودهم، وننصح لهم، ونتعاون معهم ما أمكن ذلك. وعلينا أيضاً أن نفيد من أي جهد لدىٰ شخص أو جماعة، مهما قلّ، وإن كان فيه شيء من الخطأ أو القصور. وعلينا أن نلتمس الأعذار للمخالفين الأخيار؛ أخذاً بقاعدة المنار الشهيرة للشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا **فيه**".

٣٠- لا نحتكِر الصواب

إنَّنا نعلن ونؤكد بوضوح وحزم أننا لا نحتكر الصواب، ونحذِّر الآخرين من الوقوع في وَهْم احتكاره، إننا نؤمن بأهدافنا ووسائلنا، ولكن لا ندَّعي لها الكمال، ونرحِّب ونشكر من يدلنا علىٰ ما فيها من خطأ أو قصور، كما أننا نحترم خيارات الآخرين من حيث الأهداف والوسائل.

والمطلوب منا جميعاً أن نخلص نيَّاتنا لله عَزَّوَجَلَّ، وأن نتحرىٰ الصواب، ونتحلىٰ بشجاعة التجدد، ونقرّ بالخطأ إذا ظهر منا، بكل صراحة، ونفرح بالصواب إذا ظهر من الآخرين، بكل سرور.

ومن لوازم ذلك أن ندعو إلىٰ تبادل الخبرات؛ فذلك أمرٌ شديد الأهمية في إغناء معلومات الداعية والمنظمة، وإثرائها بالأخذ والعطاء؛ ذلك أنه لم يوجد قط ولن يوجد مَنْ هو فوق النصح والإرشاد، أو مَنْ يحتكر الصواب كله في حين يحتكر الآخرون الخطأ كلَّه.

المحور الرابع

التَّطويرُ والتَّأهيلُ فِي العَمَل الدَّعويِّ

٣١- تحديد الأهداف

لكلِّ عملٍ دعويٍّ أهداف يسعىٰ إليها، وتحديد هذه الأهداف أمرٌ في غاية الأهمية؛ لذلك ينبغي أن يعكف القائمون علىٰ هذا العمل الدعوي أو ذاك، علىٰ تحديد ما يريدون بدقةٍ ووضوحٍ، وأن يكتبوا ذلك كتابةً تُحسَبُ فيها كلُّ جملة، بل كلُّ كلمةٍ، من حيث دقتها، ووضوحها، وصحتها، والحاجة إليها، والقدرة علىٰ تبنيها، ومَنْ يخلط -فرداً أو جماعةً- بين الآمال الجميلة العصية، وحقائق الواقع المتاحة، فإن حظَّه من الإخفاق أكبرُ من حظِّـه من النجاح، وربما انتهىٰ إلىٰ الهلاك، والخطأ حين يقع من الأفراد هو كارثة، لكنه حين يقع من الجماعة يكون كارثة مضاعفةً.

إن من أقسىٰ النقد الموجَّـه إلىٰ العمل الدعويِّ أن أكثر أبنائه يعرفون (ما لا يريدون)، لكنهم لا يعرفون بالضبط (ما يريدون)، وحين يتبنىٰ العمل الدعوي أهدافاً خاطئة، أو صحيحة لكنها غير ممكنة، فإنه يؤذي نفسه لأنه يعدو خلف السراب، ولن تشفع للقائمين عليه نواياهم الحسنة؛ لأن حسن النية نصف المطلوب، أما النصف الآخر فهو الصواب.

إن علىٰ أصحاب العمل الدعويِّ أن يعرفوا بوضوحٍ تامٍّ "مَنْ همْ"؟ و"ماذا يريدون"؟ ويحددوا في ضوء ذلك خططهم وبرامجهم؛ فيكونوا بذلك أمناء صادقين مع أنفسهم، وأمناء صادقين مع مَنْ يلبُّـون

دعوتهم، فإن فعلوا ذلك فقد أحسنوا وإلا كانت الفاجعة.

٣٢- نحو المستقبل

يظلُّ الزمن بأمر الله عَزَّوَجَلَّ في حركة دائبة لا تتوقف؛ فالحاضر ابن الماضي وأبو المستقبل؛ لذلك ينبغي للعمل الدعوي أن يعتبر بتجارب الماضي، ويحسن التعامل مع الحاضر، ويعدَّ للمستقبل، ويأخذ بالأسباب في حدود الطاقة، ويترك الأمر لربِّ الأسباب إيماناً به وتوكلاً عليه.

لذلك فإن استشراف المستقبل، والتخطيط لـه، واجبٌ على العمل الدعوي، وأمارة على الرشد، وسبب للنجاح، فإن فعل ذلك فقد أحسن، وإن لم يفعل حكم على نفسه بالجمود والانزواء؛ ليصبح بعد حينٍ خبراً من الأخبار، أدى مهمته، وطوته الأيام.

والإسلام دين مستقبلي، نجد ذلك في كثير من الأمور أهمها أنه يدعونا دائماً إلى مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، والاستعداد ليوم الحساب؛ لأن مستقبلنا الحقيقي هناك، وكلنا يعرف قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما أنقذ مصر من المجاعة خلال السنوات العجاف بتخطيطه المستقبلي الحكيم، وكان رسولنا محمد ﷺ يُعنى بالتخطيط المستقبلي عناية فائقة تتناول جميع الأمور، بما في ذلك التفاصيل الدقيقة، نجد ذلك في الهجرة إلى الحبشة، والهجرة إلى المدينة المنورة، والمعاهدة التي عقدها مع اليهود، والسرايا التي بثها، والحروب التي قادها، والرسائل التي بعث بها، وإحاطته بالشؤون المحلية والعالمية، وإحصائه لعدد المسلمين في المدينة

المنورة، وما إلى ذلك مما تحفل به السيرة النبوية الشريفة.

٣٣- تجديد بصيـر

نؤمن بأهمية التجدد المستمر، مع احترام الثوابت التي لا تُمَسّ، وبذلك يتحقق مبدأ الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، ويتحقق أيضاً التواصل مع العصر ومعرفة قضاياه، وفي ذلك ما يمنحنا الحيوية التي تحمينا من التجمُّد والعجز والانزواء.

فينبغي للعمل الإسلامي أن يراجع نفسه باستمرار، في مبادئه وبرامجه وشعاراته وقياداته، على ضوء الخطأ والصواب، والعجز والفاعلية، والممكن والمستحيل، والمتغيرات المحلية والعالمية، فيُقدِّم ويُؤخِّر، ويُعدِّل ويُلغي، ويضيف ويحذف، ويرفع ويخفض. وينبغي له أن يعلن أخطاءه على رؤوس الأشهاد حتى لا تكررها الأجيال القادمة، وأن يستشرف آفاقاً جديدة لأنشطته، فإن فعل ذلك أثبت أنه حي قادر على الاستمرار، وهذه بشارة طيبة. وإن لم يفعل دخل في دائرة التجمد، فالتآكل، وهذا نذير بأوخم العواقب.

٣٤- الاكتفاء الذاتي

ندعو إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي، والاعتماد على الإمكانات الخاصة، ما أمكن؛ لأن التبرعات مصدر غير مستمر ولا مستقر ولا مضمون، ولعل أهم وسائل ذلك إنشاء مؤسسات وقفية مناسبة للقدرة وللظروف.

٣٥- نموذج يحتذى

ينبغي لأي مؤسسة دعوية أن تكون بمبادئها ومناهجها وخططها، وأخلاق العاملين فيها، نموذجاً كريماً للعمل الدعوي الحكيم الناجح؛ الذي إن رآه الآخرون أُعجبوا به، وعملوا على احتذائه وتقليده.

٣٦- مكانة لا تُطلَب

العمل الدعوي أشرف مهمة في الحياة؛ لأنه مهمة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وقد جرت العادة -في غالب الأحيان- أنّ من يتصف بصفة دعوية يحظى باحترام الناس وحبّهم؛ فتكون لـه مكانة متميزة. والمهم أنّ من يعمل لله عَزَّوَجَلَّ ينبغي له ألّا يجعل همّه الأساس الحصول على غُنم المكانة، بل يجعل مسعاه خالصاً لوجهه الكريم، فإن جاءته هذه المكانة، على غير استشرافٍ منه لها وتشوّف لمكاسبها، فينبغي له أن يحمد الله عَزَّوَجَلَّ عليها، ويحرص أن يكون على مستواها، ويقابلها بحبِّ الناس، وبرّهم، والتواضع لهم، والسعي في خدمتهم، والتعفف عما في أيديهم.

إن عليه أن يراها مسؤوليةً لا جاهاً، وعبئاً لا زينةً، وغرماً لا غنماً، وتكليفاً لا تشريفاً.

ومن الجدير ذكره في هذا السياق أنّ العِفة والتواضع لا يعني مطلقاً الزهد في تولّي المكانة؛ إذ إنّ هذا يتناقض ومقاصد العليم الخبير باستخلاف الإنسان وتعمير الكون، ولنا في سيدنا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

عِبرة وقدوة عندما تولّى مكانة سامية؛ إذ استطاع من خلالها أن يفيد المجتمع انطلاقاً من رؤية قيمية أخلاقية، تُسهم في تماسك المنظومة المجتمعية القائمة على العدل والصلاح.

فصاحب الكفاءة يمكنه أن يبرز كفاءاته وقدراته لخدمة مجتمعه وأُمّته والبشرية جمعاء، وتبقى النيّة هي المُحدد الرئيسي في قبول العمل انطلاقاً من قوله ﷺ "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه." [رواه البخاري].

٣٧- تقديم الأَجْدَر

ينبغي للعمل الإسلامي أن يختار قياداته من العناصر الجديرة بهذه المَهمَّة الجليلة بعد تمحيص واختبار.

ومن المؤسف أن كثيراً من فصائل العمل الإسلامي بدرجات متفاوتة لا تلتزم بذلك؛ فيقدم هذا لأنه صاحب فصاحة لفظية، ويقدم الثاني لأنه ذو وجاهة اجتماعية، ويقدم الثالث لأن له عصبية إقليمية تدفع به إلى الصدارة، وهكذا.

وتُعْرَف الجدارة من خلال مقاييس جليلة حاسمة، أعلاها الشَّرع الشريف، وتلقتها الأمة بالقبول وهي السَّابقة، والتقوى، والعلم، والكفاية، وأن نقطة التفوق لهذا المنصب أو ذاك تلتقي مع طبيعته.

٣٨- التزام لا بدَّ منه

ينبغي لأي فصيل من فصائل العمل الدعوي أن يكون بمبادئه ومناهجه وخططه وسلوكه، وأخلاق أبنائه عامةً، والقادة منهم خاصةً؛ نموذجاً كريماً يمثل الصواب والإخلاص والصدق والجدِّية، بحيث يكون قدوة ناجحة يراها الآخرون فيحترمونها، ويعجبون بها ويحتذونها، فإن فَقَدَ الحد الأدنى من ذلك صار ضاراً، وإلغاؤه خير من إبقائه.

إن العمل الدعوي الذي لا يلتزم التزاماً كافياً بأخلاق الدين الذي قام من أجله، وبأنظمته التي تحكم مسيرته، هو عبء حقيقي، وهو مجموعة قنابل موقوتة سوف تنفجر لتكون كارثة كبيرة، وفضيحة مدوية.

إن على الدعاة أن يتذكروا أن الأسوة الحسنة هي أعظم وسائل العمل الدعوي أهميةً ونجاحاً، ولقد نجح الدعاة المسلمون في نشر الإسلام بوسائل متعددة، وفي مقدمتها الأسوة الحسنة؛ ولذلك فالمطلوب منهم بادئ ذي بدء أن يكونوا في الناس أُسوة عملية حسنة لما يدعونهم إليه.

٣٩- النَّرجسيّون ولحظة الافتراق

في الأساطير اليونانية أنَّ شابّاً جميلاً اسمه (نركسوس) نظر إلى غدير ماءٍ صافٍ جداً، فرأى صورتَه فيه، فانبهر بها جداً، وظل يحدِّق في الماء حتى مات، ونبتت في الماء زهرة نرجس، ومن هنا شاع مصطلح النرجسية، والمقصود به فتنة الإنسان بنفسه فتنة هائلة قد تودي به.

وقد وُجد في العمل الإسلامي أناسٌ من النرجسيين ينبغي أن تُطهَّر ساحتُه منهم مهما كانت لهم إيجابيات مميزة، وقدرات كبيرة.

إنَّهم ليسوا شراً خالصاً؛ بل فيهم جوانب محمودة، لكنّهم يخدمون العمل الإسلامي ما لم تصطدم دواعيه مع أهوائهم، وهنا يفترقون عنه، وربما انقلبوا إلى أعداء أشدّاء له، ولحظة الافتراق آتية لا محالة لأنَّهم عبيد أهوائهم. وإذاً فهم قنابل موقوتة، ودخولهم ساحة العمل الإسلامي خطأ قاتل، وأقتل منه خطأ مَنْ أَذِن لهم بالدخول.

٤٠- روح إيجابية

ندعو إلى التركيز على الإيجابيات، والتفاؤل، والتبشير، والتيسير، كما ندعو إلى البعد عن السلبيات، والتشاؤم، والتنفير، والتعسير.

٤١- دائرتا التأثير والاهتمام

للمسلم في حياته دائرتان:

الدائرة الأولى دائرة التأثير، والمقصود بها ما يقع في وسعه مما يستطيع أن ينشط فيه فيكون نافعاً لنفسه ولسواه، مثل العناية بصحته ورزقه، وخدمة أقاربه وزملائه، وهداية من حوله، وتطوير قدراته، والسَّهر على أسرته، ومعرفة القوانين التي تحكم عمله وبلده، وغير ذلك.

والدائرة الثانية هي دائرة الاهتمام، والمقصود بها متابعة أمور محلية وعالمية مما لا يستطيع أن يؤثر فيه قليلاً أو كثيراً، مثل ارتفاع سعر برميل

النفط، والتغيّر المناخيّ، والتلوث، والمجاعات، إلخ.

والمسلم العاقل مطالبٌ بأن يجعل تركيزه الأكبر على الدائرة الأولى؛ لأنه قادرٌ على التأثير فيها، ولأنها مناط تكليفه الشرعي.

وفي الدائرة الثانية ينبغي لـه أن يتعامل معها بأضيق الحدود؛ حتى يكون مطَّـلعاً على ما يجري في عصره، متصلاً مع الآخرين.

أما إذا توسع فيها فيكون قد وقع في المحظور، وبدد جهده ووقته وأعصابه فيما يحزنه ولا يقدر على تقويمه، فينتهي إلى دوامة القلق والإخفاق والأحزان، وربما انزوى على نفسه، وانسحب حتى مما يقدر على أدائه، واخترع لنفسه الأعذار في ذلك، وربما حمَّـل الأقدار مسؤولية ما جناه على نفسه، وما أجمل الحكمة التي تقول الناجحون ماهرون في اختراع الحلول والبدائل، والمخفقون ماهرون في اختراع المسوغات والأعذار.

٤٢- مسؤولية البشر

إن الله عَزَّوَجَلَّ تعهَّد بحفظ دينه وحمايته، ولكنه – وله حكمته البالغة – كلّف المسلمين بهذه المهمة الجليلة، فهذا الدين، وإن كان هو الحق المبين، إنما يجري به القدرُ، ولكن بأيدي البشر، ونحن جميعاً نعلم حجم التضحيات الكبرى التي بذلها الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، وحواريوهم، وصحابتهم، ومن سار على دربهم، لنصرة هذا الدين، وبهم نقتدي، وعلى منهاجهم نسير.

٤٣- بل هم مسؤولون

يشيع لدىٰ الكثير من الدعاة أنهم غير مسؤولين عن نتائج جهودهم الدعوية حين تنتهي إلىٰ الإخفاق، وهذا الأمر يحتاج إلىٰ ضابط يحكمه، وإلا فإن في تركه علىٰ إطلاقه خطراً كبيراً، أهونه غياب المحاسبة والمساءلة، والمساواة بين المحسن والمسيء.

إن الدعاة إذا أخلصوا لله عَزَّوَجَلَّ، وتحرّوا الصواب، وبذلوا جهودهم التي يقدرون عليها؛ فهم مشكورون إذا نجحوا، ومعذورون إذا أخفقوا، فإذا غاب واحد من هذه الشروط الثلاثة أو أكثر؛ فإنهم سوف ينتهون إلىٰ الإخفاق، وهم مسؤولون عما انتهوا إليه.

٤٤- أهمية المحاسبة

إن مبدأ المحاسبة مبدأ إسلامي أصيل، وأسلوب حضاري رفيع، لذلك ينبغي لنا أن نحرص عليه وأن نمارسه باستمرار، وذلك من خلال المصارحة والمكاشفة، والنقد الذاتي، والمراجعة الدائمة، والتقويم الدائب، بحيث نعرف الإيجابيات فنحتفظ بها، ونزيد منها، ونعرف السلبيات فنحذرها ونتخلص منها؛ لأن العمل البشري عرضة للخطأ والصواب.

المحور الخامس

فِقْــــهُ الدَّعـــوَة

٤٥ - فِقْه الاجتهاد الجماعي

نؤمن بعمقٍ، ونؤكد باستمرار، على أن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، وأنه قادر على حل المشكلات المتجددة، وندعو علماءه وفقهاءه إلى تقديم هذه الحلول، ونرحب بمؤسسات الاجتهاد الجماعي.

ومن ذلك مجمع البحوث الإسلامية في مصر، ومجمع الفقه الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي في الخرطوم، والمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، ومجلس الفقه الإسلامي في أمريكا الشمالية، وغيرها، ونرى أن إنشاءها خطوة في غاية الأهمية، ونأمل أن تنسِّق هذه المؤسسات المباركة بعضها مع بعضٍ؛ لأن هذا التنسيق يزيد من حجم الفائدة، كما نأمل أن تستكمل أجهزتها الفنية بأهل التّخصُص والخبرة، فإن ذلك يعطيها مزيداً من المصداقية والفاعلية.

٤٦ - فِقْه الخلاف

يُعلي الإسلام من قيمة الوَحْدَة، ويحثُّ عليها، ويحذر من الفُرْقة، لكنه يُقرُّ بالتنوع البشري الذي لا بدّ أن يؤدي إلى الاختلاف، الذي هو سُنّة من سنن الله تعالى في خلقه.

والخلاف نوعان؛ نافع وضار:

أما النافع فهو اختلاف الآراء؛ لأنَّه يُغني التجربة الإنسانية، وينسجم مع الطبيعة البشرية، حسبما اقتضته الحكمة الإلهية؛ فقد شاء

-سبحانه- أن يخلق الناس مختلفين في عقولهم، وفهومهم، وطرائق تفكيرهم كاختلافهم في الطباع، والألوان، والأحجام، والأشكال.

وأما **الخلاف الضارُّ** فهو اختلاف القلوب الذي جاءت آيات كريمة وأحاديث شريفة تحرّمه وتنهى عنه، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن الاختلاف النافع هو اختلاف تنوّع، وهو كإشعال عددٍ من الشموع كلما ازداد عددها ازداد نورها، لا تطفئ إحداها الأخرى، **أما الاختلاف الضارُّ** فهو اختلاف تضادٍّ يؤدِّي إلى التنازع والخصام، ويضعف المختلفين جميعاً فيفشلوا وتذهب ريحهم.

ولا بدّ من التأكيد أن في الإسلام منطقة مقفلة، لا يجوز أن يصل إليها الخلاف؛ لأنها تمثل ثوابت الدين التي تحفظ للأمة، هويتها، وروحها، ورسالتها، ووحدتها العقائدية والسلوكية والشعورية وهي (العقائد والعبادات والأخلاق والأحكام القطعية)؛ الأمر الذي يستدعي تَعلُّم فِقْه الخلاف وآدابه، والإقرار بحق الآخرين في الخلاف مادام ذلك في الحدود المسموح بها شرعاً، ومن ذلك؛ التباين في وجهات النظر في الأمور المتعلقة بالوسائل والأساليب القابلة للتنوع والتبدل

حسب ظروف الزمان والمكان.

٤٧ - فِقْه التمذهب الفقهي

المذاهب الفقهية عامةً، والأربعة منها المتبوعة خاصةً، تراثٌ نفيسٌ، وثروةٌ غنيةٌ جداً، حرَّرها العلماء، وصقلتها القرون، وهي من مفاخر الأمة المسلمة.

وللمسلم أن يختار منها المذهب الذي يتبعه، ولـه أن يتعرف -ما استطاع- على أدلة مذهبه، وأن يحترم اختيارات الآخرين، وأن يدور الحوار معهم -حين تدعو إلى ذلك دواعيه- بالأدب والموضوعية، وتحري الحق، والفرح به، سواء كان معه أو مع سواه.

وفي كل هذه المذاهب حظٌّ يتفاوت من الصواب والخطأ، والفاضل والمفضول، وهو أمرٌ يقرره العلماء الأثبات الذين يمتلكون القدرة على المقارنة والمفاضلة والاختيار والتجديد.

إن التعصُّب المذموم للمذاهب ضارٌّ جداً، لكن الانتقاص منها، ومحاربتها، ودعوة عوام المسلمين إلى تركها، والأخذ من الكتاب والسنة مباشرة أشد ضرراً، أما الدعوة إلى إلغاء المذاهب فهو أمرٌ غير ممكن عملياً، ثم إن الذين يحاولون ذلك ويجتمعون على اجتهادات وأحكامٍ فقهية يختارونها، أو يختارها لهم مشايخهم، إنما يضعون -من حيث يعلمون أو لا يعلمون- نواةَ مذهبٍ فقهي جديد، وبذلك يقعون فيما انتقدوا فيه الآخرين.

٤٨ – فِقْه المقاصد

ينبغي للدعاة أن يعوا جيداً فِقْه المقاصد، ويتعمقوا فيه، فلا يجوز لهم أن يتمسكوا بظواهر النصوص، واقفين عند حرفيتها، غافلين عمّا وراءها من المقاصد والأسرار والحِكَم، وليس معنى هذا إغفال قيمة النصوص ومن ثمّ التهرب من الأحكام الشرعية، بل النفاذ إلى روحها، والموازنة بين المتفق والمختلف منها، وفهم الجزئيات في ضوء الكُلّيات، وفي ضوء المقاصد العامة للشريعة، وفي ضوء القاعدة الفقهية التي تقول "العِبْرة بالمقاصد والمعاني، لا بالألفاظ والمباني"، وأختها التي تقول "الأمور بمقاصدها".

ولا شكَّ أن ذلك يقتضي منا الإصغاء إلى المتخصصين في هذه المجالات، حتى نتعامل مع فِقه المقاصد تعاملاً واعياً، قادراً على تحقيق مقصد الحق من الخلق.

٤٩ – فِقْه الأولويات

نؤكد على فِقْه الأولويات، ونعلي من قدره، وندعو إليه، فقضايا الإسلام ليست على درجة واحدة، فمثلاً قضية الإيمان والتوحيد أهم بكثير من قضية إماطة الأذى عن الطريق، وقضايا العمل الدعوي ليست على درجة واحدة كذلك، لذا ينبغي لنا أن نعيها جيداً، ونضع كل قضية في مكانها، وينبغي لنا أيضاً أن نعيد ترتيب هذه الأولويات بين الفينة والأخرى، حسب المتغيرات؛ لأن سُلَّم الأولويات في الإسلام

ثابت، ولكنه في العمل الإسلامي متغير حسب الزمان والمكان والإنسان، ومما يتصل بمنطق الأولويات أن نمتلك القدرة على الموازنة بين الأضرار حين تقع؛ فنختار الضرر الأقل، وأن نمتلك القدرة على الموازنة بين المنافع حين تتاح؛ فنختار الأكثر منها فائدة.

٥٠- فِقْه المـآلات

ينبغي للدعاة أن يعرفوا فِقْه المآلات، أي النتائج ومجريات الأمور التي سوف تترتب على قرارهم هذا أو ذاك،؛ وهذا الأمر يستدعي معرفة عميقة بسنن الله عَزَّوَجَلَّ، وإدراكاً واسعاً للظروف المحلية والإقليمية والعالمية، لذا يجب عليهم أن يطيلوا النظر في مآل أي قرار قبل اتخاذه، وأن يدركوا آثاره عليهم وعلى مَنْ حولهم، وأن يعتمدوا في حساباتهم على اليقين لا الظن، والأناة لا العجلة، والقدرة لا الوَهْم.

٥١- فِقْه الواقع

ينبغي للدعاة أن يكونوا قادرين على معرفة فِقْه الواقع، والإحاطة الجيدة بالظروف والملابسات المتصلة به، وإدراك المسافة الحقيقية بين الآمال المرجوة والإمكانات المتاحة، وبذلك تكون شعاراتهم وأهدافهم وبرامجهم قابلة للتطبيق، الأمر الذي يستدعي العمل على تهيئة العقول والضمائر، وجمع الناس حول أمور واضحة ومختارة بعناية، ورعاية الضرورات، والأخذ بسُنّة التَّدرُّج.

٥٢- فِقْه الوسطية والاعتدال

الإسلام دين الوسطية والاعتدال، فهو بعيد عن الطرفين المذمومين الإفراط والتفريط.

وقد امتدح الله عَزَّوَجَلَّ المسلمين، فقال فيهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي عدلاً وخياراً، ذلك أن خير الأشياء أوساطها، والغلو والتقصير مذمومان.

إن التفريط مذموم لأنه يضيّع مصالح الفرد والجماعة، والإفراط مذموم لأنه مخالف للفطرة الإنسانية التي لا تحتمله، لذلك كان الغلو وسوف يبقىٰ قصير النفس يحمل في طياته بذور فنائه، ومن هنا اختار الله عَزَّوَجَلَّ للإسلام أن يكون ديناً وسطياً معتدلاً، لأنه خلق الإنسان وكلّفه به، وهو أدرىٰ بطبيعته وقدراته وضعفه وقوته.

فالمسلم -مثلاً- لا يزهد في الحياة زهداً يصرفه عن عمارتها، والنهوض بواجباته فيها، فيصبح كَلًّا فيها وعبئاً، كما أنه لا يقبل عليها إقبال المسعور الذي يريد الاستكثار الدائم منها، ولكنه يقبل عليها بتوازن واعتدال.

وتظهر وسطية الإسلام في ميادين الحياة كلها التي جاء يبين حكمه فيها لأنه الدين الشامل والخاتم.

وكما وجدنا هذه الوسطية والاعتدال في عمارة الأرض وطلب الرزق، نجدها في العبادة، والإنفاق، والمعاملات، واللباس، والتوازن

العادل بين مطالب الفرد والجماعة، والحق والواجب، والجسد والروح، والعقل والقلب، وما إلى ذلك، بلا إفراطٍ ولا تفريط.

٥٣- فِقْه المصالح والمفاسد

شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقدم العمل الإسلامي منذ نصف قرن من الزمان، تقدماً فاق أقصى درجات المتفائلين، وهذا التقدم يبعث على الفرح؛ لأن دين الله عَزَّوَجَلَّ يمتد ويسود، ويبعث على الخوف؛ لأن الكثرة من أبنائه لم تتلق نصيبها من التمحيص الشرعي، والتربية الأخلاقية، والوعي السياسي، وهذا يتيح الفرصة للدهاة الأشرار لاختراقهم وتوريطهم في أعمال حمقاء، وهو ما وقع كثيراً، ولا يزال، لذلك ينبغي لعقلاء الدعاة أن يعملوا على العناية بأفواج المهتدين، تمحيصاً وتربيةً ووعياً، وأن يكون عملهم هذا مقدَّماً على اكتساب مواقع جديدة للدعوة؛ تنفيذاً للقاعدة الأصولية العظيمة "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح".

٥٤- فِقْه السُّنن الإلهية

إنَّ سُنن الله عَزَّوَجَلَّ -وهذا من عدله ولطفه بعباده- سُننٌ محايدة ومطّردة لا تحابي ولا تعادي فرداً أو جماعة أو ديناً، بل الجميع أمامها سواء، فمن أحسن التعامل معها فاز أيّاً كان، ومن أساء التعامل معها خاب أيّاً كان، ومعنى هذا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لن يمنح فرداً أو جماعة من المسلمين نصراً مجانياً لمجرد إسلامهم، فلا بدّ من الأخذ بالأسباب.

٥٥- فِقْه التَّدرُّج

ندعو إلى تعميق معاني التدرج لا الطفرة، والنمو لا التعسف، والحكمة لا الهيجة، والأناة لا العجلة، والعمل الهادئ المستمر، لا العمل السريع المتوقف، وفي الحديث الشريف "إن المنبتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى" [رواه البزار والحاكم]، وفي الحديث الآخر "أَحَبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ" [رواه البخاري]، وفي الحديث الثالث "ولن يشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبه" [رواه البخاري]، وهنا ينبغي لنا أن نتذكر الحكمة النفيسة التي تقول إن الزمن جزءٌ من العلاج.

٥٦- فِقْه المرحلية

نؤمن بالمرحلية؛ أي تقسيم الأهداف إلى مستويات ورتب تخدم الهدف العام؛ بحيث يمهد الأول للثاني، ويقوم الثاني على الأول، وهكذا.

وأن نتبنى من الأهداف ما نستطيعه وما يناسب الظرف. وللعمل الدعوي أن يسكت عمّا لا يقدر عليه؛ وإن كان صحيحاً، بل ربما وجب عليه، ولكنه في الحالتين لا يجوز له قطُّ؛ أن يعلن أنه لا يريده.

٥٧- فِقْه الاصطفاء

الدعوة إلى الإسلام واجبة على الجميع، وليست مقصورة على طلاب علوم الشريعة فقط، وإن كانت مسؤولية هؤلاء أكبر من مسؤولية سواهم.

على أنه ينبغي لنا أن نتذكر أن الإسلام يستوعب الجميع؛ الجبان والشجاع، والبخيل والكريم، والغبي والذكي، وما إلى ذلك، لكن

العمل الدعوي لجلالته وأهميته وخطورته، يحتاج إلى المعادن العالية من أهل المروءة والكرم، والشجاعة والصبر، والعزيمة والرجولة، والإنصاف والإيثار، فينبغي لنا التركيز على أصحاب هذه المعادن واكتسابهم وتقديمهم، فهم زينة في الرخاء وعدة في الشدة، وعلى أمثالهم تقوم الدعوات.

وهذا لا يعني أنهم مبرّؤون من الخطأ والنقص؛ فلكل إنسان نصيب من ذلك، ولكن معناه أنهم في جملتهم معادن عالية، إذا أخطأتْ عادت إلى الصواب، كما أنها تؤثِر العامَ على الخاص، والجوهر على الشكل، والحقيقة على الصورة، وتثبت على المبدأ، أياً كانت المخاطر، حتى تلقى الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

وكلما كثرت المعادن العالية في العمل الدعوي وقلَّ سواها كان هذا من أمارات النجاح والعكس بالعكس.

والرسول ﷺ دعا أيام ضعف الدعوة في مكة المكرمة أن يُعزَّ الله الإسلام بأحد العُمَرين، لأنه يعلم أنهما معدن نفيس، ففاز بهذه الدعوة الصحابي العبقري عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان منه في نصرة الإسلام ما كان.

ولهذا ينبغي للعمل الدعوي أن يركز في اختياره لأبنائه على المعادن العالية بالدرجة الأولى؛ مع ترحيبه بالجميع، قال ﷺ: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقِهوا" [رواه مسلم].

٥٨- فِقْه التّعامل مع الفتن

تثور بين حينٍ وآخر فتنٌ ومشكلاتٌ وشبهاتٌ أمام المسلمين من تطاولٍ على الله عَزَّوَجَلَّ، أو انتقاصٍ من الرسول الكريم ﷺ، أو اعتداءٍ على جالية مسلمة، أو على مقدسٍ من مقدسات المسلمين، أو هُزْءٍ بثوابت الأمة، وما إلى ذلك.

وتختلف البواعث الكامنة وراء ذلك فمنها الكُرْه، ومنها الاعتداء، ومنها الجهل، ومنها طلب الشهرة، ومنها استنزاف جهود المخلصين من أبناء الأمة، وصرفهم عن الميدان الحقيقي الذي ينبغي أن تتجه إليه جهودهم.

وينبغي للعقل الدعوي أن يكون قادراً على فرز هذه الإثارات، والتعامل معها من خلال النظر إلى البواعث والمصالح والنتائج، فيقابل هذه بالصمت، وهذه بتقديم الرد الذي يفضحها من دون أن يسميها، وهذه بالتصدي لها وتسميتها، وحين التصدي ينبغي للعقل الدعوي أن يحسب حساب ذلك بدقة بالغة، فلا يتجاوزه؛ لأنه إذا تجاوزه يكون قد بدد جهده، ووقع فيما يريده الأشرار من إلهائه وإنهاكه واستنزافه، فيفرحون بذلك، ويهيئون له إثارات جديدة لتستمر لعبتهم معه كما يريدون.

المحور السادس

قَضَـــايا مَنهَجِيَّـــةٌ

٥٩- الإسلام والعمل الدَّعوي

لا بدّ من التفريق بين الدين الإسلامي والعمل الدَّعوي؛ فالإسلام هو دين الله الصحيح الباقي الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، والعمل الدعوي هو جهد بشري قابل للصواب والخطأ.

إن دين الله عَزَّوَجَلَّ مقدسٌ، لكن العمل من أجله غير مقدس، وقداسة الإسلام لا تنسحب على العمل الإسلامي فتمنحه العصمة، وأخطاء العمل الإسلامي لا تنسحب على الإسلام فتنتقص منه.

٦٠- المنهج الأفضل

المنهج الأفضل في الدعوة هو التعريف بحقائق الإسلام ومناهجه ابتداءً، وبدقة ووضوحٍ وإحاطةٍ، فذلك أدعى إلى تثبيتها في عقل المتلقي ووجدانه، وأرجى لاستجابته لها؛ لذلك ينبغي لنا أن نتحاشى البدء بإيراد الشبهات والرد عليها، أو الحديث عن فِـرَقٍ وأفكارٍ واجتهادات ذهبت بها لها، وما عليها، وإذا دعت إلى ذلك ضرورة فتكون الاستجابة لها بأدنى حدٍّ ممكنٍ، ومن دون الإخلال بأصل المنهج.

٦١- الدَّعوة العَامَّة

في ميدان الدعوة العامة، ينبغي أن تعرض الحقائق المسلّم بها، وأن تُطوى جانباً خلافات الفقهاء، فضلاً عن المرويات الشاذة، والتأويلات البعيدة، والتفريعات الكثيرة، والافتراضات المحتملة وغير المحتملة،

فهذه الأمور لها أمكنتها، وأهلوها يتحاورون فيها من خلال ضوابط دقيقة حسبَ الحاجة، أما عامة الناس والناشئة؛ فينبغي أن ينشغلوا بالأمور العملية النافعة لهم.

٦٢- المبادئ القرآنية هي المرجعية

المبادئ القرآنية هي المرجعية العليا والوحيدة للمجتمع الإسلامي، وينبغي أن يكون ذلك من الثوابت التي لا تمس في قليل أو كثير، وللمجتمع المسلم أن يقتبس النافع من غير المسلمين، شريطة أن يوافق على ذلك العلماء الأخيار الموثوقون.فيجب تقديم التوجيهات الشرعية لأنها الأصل؛ على التوجيهات التنظيمية لأنها الفرع، ولأن التوجيهات التنظيمية وسيلة وخادم، والتوجيهات الشرعية غاية ومخدومة.

٦٣- البدء من حيث انتهوا

ندعو إلى البناء على تجارب من سبق؛ فالمنظَّمة أو المركز أو المدرسة أو الداعية؛ لا يبدأ من فراغ، وليس أول من تصدى لخدمة دين الله، ولن يكون آخر المتصدين لهذه الغاية الشريفة.

٦٤- كتابات واضحة

ينبغي أن تكون كتاباتنا الدعوية، واضحة، محسوبة، منضبطة؛ بحيث يكون لها معنى واحد، يصدر من كاتبه إلى قارئه؛ فيكون المفهوم واحداً عند الاثنين، وفي هذا فائدتان مهمتان الأولى توحيد المفاهيم الفكرية والسلوكيات العملية لدى أبناء الدعوة. الثانية القضاء على

البلبلة والاضطراب في صفوف أبناء الدعوة، ولا سيما الناشئة منهم، ومنع التأويلات الخاطئة التي يسمح بها كلام مائع غائم ضبابي من شأنه أن يؤدي إلى اجتهادات متناقضة، وإفراط أو تفريط، وفتن وانقسامات.

٦٥- مصطلحات دقيقة

ينبغي لنا أن نحرص على أن تكون لنا مصطلحاتنا الخاصة بنا، وأن تكون قرآنية ما أمكن، وأن تكون هذه المصطلحات دقيقةً واضحةً مستقلةً، وأن نختارها بعناية وحكمة، ونتحاشى الانسياق وراء الموجات الفكرية التي تسود بين الحين والآخر؛ فلا نَصِف الإسلام بأنه اشتراكي إذا راجت سوق الاشتراكية، ولا رأسمالي إذا راجت سوق الرأسمالية، ولا ديمقراطي إذا راجت سوق الديمقراطية، وهكذا.

فالإسلام هو الإسلام بمعاييره وثوابته ومنطلقاته ومآلاته. وإنّ تلاقي بعض مبادئه مع غيره مردُّه إلى شموله وإحاطته بكل شيءٍ، لكن هذا التلاقي لا يجيز لنا أن نصفه بهذه الموجة الفكرية أو تلك؛ لأنه الأصل، وسواه الفرع، ولأنه الثابت وسواه المتغير، ولأنه الحق الخالص؛ خلافاً لسواه من المبادئ التي يتفاوت حظها من ذلك.

وهذا يدعونا إلى الحذر من المصطلحات التي يتم الترويج لها بين الحين والآخر، وظاهرها جيد وحقيقتها الضلال، وقد ينخدع بها بعض الدعاة جهلاً أو ممالأة للآخرين.

٦٦- تنمية الشعور بالمخاطر

المسلمون أمة مستهدفة منذ كانت؛ لأنها أمة رسالة ودعوة، ولذلك تظل مهددة بالمخاطر من قِبَلِ أعدائها؛ لأن أكثرهم للحقِّ كارهون؛ فينبغي لنا أن نُنمِّي الشعور بهذه المخاطر لدىٰ أبنائها، الأمر الذي يدعو إلىٰ التقارب وكراهية الخلاف، ثم إن الجميع مهددون بهذه المخاطر ومقصودون بها، وإن الجهل بهذه المخاطر يجعلها أشد فتكاً، ثم إن المخاطر نوعان مخاطر خارجية تأتي من الآخرين، ومخاطر داخلية تنبع من داخل الصف، وعبرة التاريخ تؤكد لنا أن المخاطر الداخلية كثيراً ما تكون أفتك وأرهب.

٦٧- الإخلاص والصواب معاً

يحتل الإخلاص في الإسلام مكانةً عاليةً؛ لأنه روح العمل وشرط القبول، والعمل الذي يفتقد الإخلاص ضائعٌ لا محالة؛ لكنَّ الإخلاص وحده لا يكفي؛ فالعمل قد يكون مخلصاً، لكنه لا يكون صواباً.

لذلك ينبغي أن تقترن الدعوة إلىٰ الإخلاص بالدعوة إلىٰ الصواب؛ فهما معاً طريق النجاح.

وعليه؛ فينبغي للدعاة أن يعرفوا قيمة الصواب ويحثُّوا عليه، ويدعوا إلىٰ تحرّيه بالدّرجة نفسها التي يدعون فيها إلىٰ الإخلاص، وذلك لسببين مهمين **الأول** قيمة الصواب وأنه توأم النجاح، وشرطه، وشطره. **الثاني** أن أكثر العاملين في الحقل الإسلاميّ تغلب عليهم

الطيبة وحسن النية؛ لذلك وقع -وسيقع- استدراجهم، واختراقهم، وخديعتهم، وتوريطهم.

وفي بعض الأحيان كانوا يبذلون جهودهم في الميدان المفضول مع وجود الأفضل، وفي أحيانٍ أخرىٰ كانوا يبذلون جهوداً لا حاجة إليها، وفي بعض الأحيان كانوا يبذلون الجهود والتضحيات في المكان الخطأ، وكانوا وقوداً لتغييرٍ هم أول ضحاياه، وكان الوضع الجديد الذي جاء به التغيير أسوأ بكثير من سابقه.

٦٨- حماسة مُنضَبِطَة

الحماسة خيرٌ وبركة لأنها توقد روح العزم، والفاعلية، والمبادرة، والبذل، والتنافس، والإيثار، والابتكار، وما إلىٰ ذلك من صفاتٍ حميدةٍ من شأنها أن تدفع العملَ الدعويَّ إلىٰ الأمام. وبمقدار وجود هذه الروح يتقدَّم العملُ، وبمقدار ضعفه يضعف العملُ؛ من هنا اعتاد الدعاة علىٰ إيقاد شعلة الحماسة وحسناً يفعلون.

ولكن لا بدَّ من مراعاة أمرين مهمين:

الأول أنْ تكون جرعة الحماسة محسوبة بدقَّةٍ، مثلها مثل الدواء الذي يصفه الطبيبُ للمريض؛ فيحدد لـه الجرعة المناسبة بحيث لا تزيد ولا تنقص؛ ذلك أن زيادة هذه الجرعة -وخاصةً عند الشباب- تولِّد لديهم شحنةً من الحميَّة والانفعال ربما عبَّـرت عن نفسها بطريقةٍ خاطئةٍ.

الثاني أنَّ على الداعية الحكيم أن يهيِّئ لمن معه مصارف عملية نافعة يفرغون فيها شحنة حماستهم؛ فيشعرون أنهم نافعون، لأنهم فعلوا ما يقدرون عليه، وينجون من تأنيب الضمير الذي يستبدُّ بهم إن لم يفعلوا، ومن ثَمَّ يفرحون ويهدؤون، كما أن الناس ينتفعون بأعمالهم ويسعدون.

٦٩- شجاعة الإقدام

الشجاعة صفة عظيمة ينبغي للدعاة أن يتحلوا بها؛ لأنها من أهم عدتهم في العمل الدعوي، وما تحلى العمل الدعوي بالشجاعة إلّا كان ذلك من أسباب فوزه، وما تخلى عنها إلّا كان ذلك من أسباب خذلانه، لكن هذه الشجاعة ينبغي لها أن تقترن بالتروي، والمكث، والدراسة الدقيقة للموقف؛ حتى تكون شجاعةَ إقدامٍ وحكمةٍ معاً، وإلا كانت تهوُّراً.

٧٠- شجاعة الإحجام

الإقدام واجبٌ حيث ينبغي، والإحجام مثله، وحقُّ القرار فيهما هو لمرجعيته المعتمدة فقط، وهو شجاعةٌ محمودةٌ في الحالتين، ولكنَّ شجاعة الإحجام أبلغُ من أُختها شجاعةِ الإقدام، لأنَّ صاحب الإقدام يُصفِّقُ له الناس ويُمجِّدونه، على عكس صاحب الإحجام الذي قد يضيق به الناس، وربما سبُّوه واتَّهموه، لكنَّ نظره البعيد يجعله يتجاوز حماستهم وغرارتهم.

وقد اختار الصحابيُّ العبقريُّ خالدُ بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معركة مؤتة شجاعة الإحجام، لأنه وجد الإقدام إلقاء من معه في التهلكة؛ فانسحب وعاد إلى المدينة المنورة، وهو من هو شجاعةً وخبرةً، ويومَها

وَصَفَ صبيانُها المنسحبين بأنَّهم (فُرَّار)، لكنَّ الرسول الكريم ﷺ أثنىٰ عليهم، ووصفهم بأنَّهم (كُرَّار).

وبذلك كانت شجاعة الإحجام هي الصواب؛ فلجأ إليها خالد، وشجاعة الإقدام هي الخطأ؛ فتحاشاها.

٧١- هدوء مطلوب

ندعو إلىٰ التحول من التهييج إلىٰ الحكمة، ومن الإثارة إلىٰ الأناة، ومن إهمال شؤون الحياة إلىٰ المهارة في معرفتها وعلاجها، والمشاركة في عمارتها.

٧٢- العبرة بالمسمَّيات لا الأسماء

إذا دعت حاجة مُقدَّرةٌ إلىٰ تغيير اسمٍ من الأسماء؛ فعلىٰ الدعاة أن يفعلوا ذلك علىٰ ألا يجور الاسم البديل علىٰ حقيقة المسمَّىٰ قط.

وفي فتوح الإسلام الأولىٰ رضيت قبيلة تغلب بحكم الإسلام، وكان أهلها نصارىٰ، لكنها كرهت أن تدفع الجزية، وأعلنت أنها تدفعها علىٰ أن تكون صدقة، لأنها وجدت في الاسم الأول مهانة، فأمر الخليفة العظيم عمر بن الخطاب بالاستجابة لهذا الطلب، لأن أصحابه رضوا بالمعنىٰ، وكرهوا الاسم. وهي إحدىٰ سوابق عبقريته الكثيرة.

٧٣- مجتمعاتنا مُسلِمة؛ ولكن

إن مجتمعاتنا مجتمعات مسلمة لا جاهلية، وما فيها من قصور أو سوء تطبيق، أو بدع، أو ضلالات؛ لا يسوِّغ لنا وصفها بأنها جاهلية،

ويمكن وصف ما فيها من ذلك بأنها جاهلية، ولكنها جاهلية جزئية.

وقد وصف الرسول الكريم ﷺ سيدنا أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنَّ فيه جاهليةً حين عيَّر بلالاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال له "يا ابن السوداء!". ومن أدبه ﷺ ودقَّته لم يقل لأبي ذر إنَّك جاهليٌّ، ولكن اختار عبارة تنبئ بأنَّ فيه شيئاً من بقايا الجاهلية، سرعان ما استوعبها أبو ذر وتخلّص منها، واعتذر من بلال، وإذَنْ فإن ما بقي فيه من الجاهلية لم يخرجه من الإسلام.

وهذا حال مجتمعاتنا اليوم؛ إنَّ فيها أشياء يصح وصفها بالجاهلية، تختلف درجةً ونوعاً من حال إلى حال، وزمان إلى زمان، ومكان إلى مكان، ولكنها تبقى مسلمة، وعلى الدعاة أن يبصِّروها بها، ويعملوا على إنقاذها منها، ويصارحوها بأنه لا يكتمل لها إسلامها إلّا بذلك.

٧٤- الـمُهتدون الـجُدد

من طبيعة المسلم أن يفرح بكلِّ مهتدٍ جديدٍ يعتنق الإسلام، لكن هذا الفرح يتجاوز حدَّه أحياناً فنقع في أخطاء من الممكن تفاديها، وحتى نحقق المصلحة لنا، وللمهتدي الجديد، وحتى ننجو من الخطأ المحتمل؛ علينا أن نتأكد من نية المهتدي الجديد، وعقله، واستقامته، وحكمته، ثمَّ نساعده باعتدال حتى يتعمَّـق فيه الإسلام؛ نيةً وفهماً وسلوكاً، وبذلك يظلُّ في حجمه الطبيعي الذي ينمو بهدوء، أما إذا بالغنا في الحفاوة بمن يُسلِم -مادياً وأدبياً- فقد نُحوّلـه إلى مرتزقٍ، وقد نحولـه إلى إنسانٍ مغرورٍ يتوهَّـم أنه أستاذ لنا ينبغي أن نتعلم منه، لا أن يتعلم منا.

٧٥- انتصارات وانكسارات

في التاريخ الإسلامي أمجاد كثيرة تبعث على الاعتزاز، وفي سجل العمل الإسلامي أمجاد أيضاً تبعث على الاعتزاز، وهذه الأمجاد تصبح شحنة نافعة إذا تحوَّلت إلى روح عملية تقود إلى محاولة احتذائها في المستقبل، كما أنها تصبح شحنةً ضارةً إذا تحولت إلى روحٍ عاجزةٍ تكتفي بالتغني والفخار، ومثل هذا يقال عما في التاريخ الإسلامي، وفي سجل العمل الإسلامي من أخطاء؛ فهذه الأخطاء التي فيهما تصبح شحنة نافعة إذا أخذنا منها العِبرة، واتجهنا إلى المستقبل بروحٍ عمليةٍ بانيةٍ، كما أنها تصبح شحنة ضارةً إذا وقفنا عندها مكتفين بالبكاء، والتلاوم وجلد الذات.

٧٦- الموقف من أحاديث الفِتَن والملاحم

الإسلام دينٌ محفوظٌ، ومنصورٌ بإذن الله، والمستقبل لـه وإن كره أعداؤه، تنطق بذلك آيات الكتاب الحكيم، ونصوص الحديث الشريف، وبشائر الواقع، وإرهاصات المستقبل.

وينبغي للدعاة أن تكون ثقتهم بهذا الأمل تامة؛ لأنه صحيح بادئ ذي بدء، ثم إن هذه الثقة عونٌ لهم على بذل الجهد وكسب الأنصار.

ومما يجدر ذكره هنا أن معظم أحاديث الفتن والملاحم ضعيف، والصحيح من هذه الأحاديث الذي يدل على أن أمور الأمة تسير دائماً من سيِّئ إلى أسوأ، له خصوصية زمانية، أو مكانية، أو شخصية، تمنع عنه صفة اليقين، وإن تعميم دلالتها خطأ بالغ؛ لأن هذه الدلالة المغلوطة تخالف نصوصاً شرعية قوية صريحة عامة تَعِدُ بالنصر، وتخالف

سُنّة الله عَزَّوَجَلَّ في الكون، وتخالف وقائع التاريخ قديماً وحديثاً، كما أنها تخالف عدل الله عَزَّوَجَلَّ، فحاشا لله أن يكلف الناس العملَ على نصرة دينه ويَعِدُهم بذلك، وهم يشعرون أنهم مهزومون لا محالة، وحين نعرف أن الجزئي يُفهَم في ضوء الكُلّي، والظَّني في ضوء القَطْعي، فإننا نضع أحاديث الفتن ضمن حجمها الصحيح، ونظل على يقين أن الإسلام دينٌ منصورٌ بأمر ربه جلَّ جلاله.

٧٧- المستقبل للإسلام

الإسلام دينٌ منصور؛ لأنه رسالة الله عَزَّوَجَلَّ الأخيرة للناس، وقد وعد بإظهاره على الدين كله.

صحيح أن الأمة المسلمة تمر بين الحين والآخر بفتراتٍ من الضَّعف، لكنها بعقيدتها الدافعة، وأرضها الواسعة، والمواقع الإستراتيجية التي تملكها، وثرواتها الكبيرة المتنوعة، ونموها السكاني المطَّرد؛ تغلب ضعفها دائماً، وتعود لمواقع السيادة، وتاريخها الطويل خير شاهد على ذلك، ولو أن المصائب الهائلة التي واجهتها حلّت بأمة أخرى لانقرضت تماماً.

وعلى الدعاة أن يبشّروا بهذا المعنى باستمرار، لأنه يقتل اليأس، ويزرع الأمل، ويحث على العمل، على أن يقترن هذا التبشير بالحث على بذل الجهد اللازم، والأخذ بالأسباب؛ لأنَّ لله عَزَّوَجَلَّ سُننه المطَّردة، وهي لا تمنح نصراً مجانياً للقاعدين.

المحور السابع

أَهـــــدَافٌ وَوَســـــائِلُ

٧٨- أهداف ووسائل

الأهداف الأساسية ثابتة، والأهداف الفرعية مرحلية، أما الوسائل فينبغي أن تكون متجددة مرنة متطورة، وينبغي التبديل والتنويع والتطوير فيها باستمرار، والاقتباس من تجارب المسلمين وغير المسلمين؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن، ثم إن كل وسيلة من وسائل العمل الدعوي إنما نلجأ إليها بضابطين الأول أن تكون هناك حاجة حقيقية إليها قبل إنشائها. والثاني أن تكون حسناتها أكثر من سيئاتها بعد الإنشاء، وإلّا فلا. وينبغي الحرص على أن تبقى الأهداف أهدافاً، والوسائل وسائل. ومن الخطورة بمكان أن تصبح الأهداف وسائل، والوسائل أهدافاً. وهو أمر قد حدث في تاريخنا وثقافتنا.

٧٩- العناية بالنابهين

نؤمن بالتركيز على النابهين والموهوبين من الطلبة؛ فهؤلاء هم روَّاد التجديد والتطوير، والتفكير، في البدائل النافعة، والمبادرات المستقبلية.

٨٠- أَدَب الحوار

ندعو إلى تعلم أدب الحوار وفنونه؛ لأن الحوار من أهم وسائل الدعوة الناجحة، والمحاورُ الناجحُ محامٍ ناجحٌ عن القضية التي يدعو إليها، والعكس بالعكس.

٨١- حين يكون الـمَفضول أَوْلَىٰ

تتعدد الخيارات الفقهية والدعوية لدىٰ الناس، وتختلف باختلاف ظروفهم وأحوالهم وأفهامهم ومستوياتهم العلمية، وليس من الحكمة أن يفرض أحد رأيه واختياره علىٰ سواه ولو اعتقد أن ما لديه أصح وأفضل. وأن نلتقي علىٰ الصواب خير من أن نفترق علىٰ الأصوب، وأن نتعاون في المفضول خير من أن نتشاحن في الأفضل.

٨٢- الـمَرَح المطلوب

إن المرح -في حدوده المباحة- من أهم ما يقوّي صلة الناشئة بجماعتهم؛ الأمر الذي يجعلهم أكثر غيرة عليها، وإخلاصاً لها، وتشرباً لأفكارها؛ لذلك فنحن ندعو إلىٰ هذا الأمر، وندعو إلىٰ التعبير عنه في المناسبات المختلفة، ومن ذلك الأعياد، وبداية العام الدراسي ونهايته، ومن أجله ينبغي أن تقام الاحتفالات، والأناشيد، والمسابقات والنشاطات الرياضية، وتقدم الهدايا والجوائز... وما إلىٰ ذلك.

٨٣- لا للمراء

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]. ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ندعو إلى سدّ باب التساؤلات النظرية، والمناقشات الافتراضية، والأقوال الشاذة، والاجتهادات المهجورة، والاحتمالات الظنية، والجدل العقيم؛ لأن ذلك إضاعة للوقت والجهد والمال، وهروب من المسؤوليات الحقيقية التي ينبغي النهوض بها، كما أنه -في غالب الأحوال -يؤدي إلى الكراهية والنفور وربما الأحقاد. وإذا كان لا بدّ من ذلك؛ فعلينا الالتزام بالجدل بالتي هي أحسن، التزاماً بتوجيه القرآن الكريم.

٨٤- أهمية العَرَبيّة

اللغة هي وعاء العلم والمعرفة، والوعاء الأول للثقافة الإسلامية. لذلك كان العقل العربي في الجملة أصح فهماً لنصوص الشريعة؛ من العقل المسلم غير العربي. واللغة العربية تشارك غيرها من اللغات في الحياة، ولكنها تنفرد عنها بأنها اللغة التي اختارها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لكتابه الكريم، والله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته؛ زماناً ومكاناً وإنساناً ولساناً. وبذلك كانت لغة السنة المطهرة، ومعظم التراث الإسلامي أيضاً.ويدلُّ استقراء التاريخ الإسلامي على أنه حيثما انتشر الإسلام مقترناً باللغة العربية كان ذلك أدعى إلى حسن فهمه واستمراره، حتى بعد زوال سلطانه السياسي أو ضعفه، ومن هنا ينبغي أن نسعى إلى نشر اللغة العربية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً في البلدان المسلمة غير العربية خاصة، وفي العالم عامة.

٨٥- الوسيلة والغاية معاً

إنّ الغاية النهائية للعمل الإسلامي؛ هي إعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ، وهداية الناس إليها، وهذه الغاية بجلالها وشرفها تحتاج إلى الوسائل الشريفة؛ والشريفة فقط، وهذا يدعونا إلى التحذير من العبارة السياسية الشهيرة المنسوبة إلى السياسي الإيطالي (مكيافيللي)، وهي: "الغاية تبرِّر الوسيلة"، والمراد منها أنَّ شرف الغاية يبرِّرُ سوء الوسيلة التي قد نلجأ إليها، وهذا مرفوضٌ في الإسلام جملةً وتفصيلاً، وهذه العبارة شاعت بين المسلمين، ووجدت قبولاً من بعضهم، وهذا سوءٌ محض، وأشدُّ منه سوءاً أنها وجدت قبولاً من بعض العناصر المحسوبة على العمل الدعوي فمارسته، فكانت العاقبة كارثةً أو سلسلةً من الكوارث، وعلى العمل الدعوي أن يحرِّم هذه العبارة عليه قولاً وفعلاً، ويتخلَّص ممّن مارسوها تماماً، ويتَّخذ الاحتياطات اللازمة لمنع أمثالهم من التسلُّل إليه.

المحور الثامن

مَحَــاذيرٌ مَنهَجِيَّـــــةٌ

٨٦- رسالة لا حِرْفَة

إن العمل الدعوي إذا تحوَّل من رسالةٍ إلى حرفةٍ -وما أكثر وقوع ذلك- غلب الشكل على الجوهر، والعطالة على الفاعلية، والأثرة على الإيثار، والأدعياء على الأصلاء، والمنافقون على الصادقين، وهذه كلها طامَّات تقع بدرجاتٍ متفاوتةٍ في هذا العمل الدعوي أو ذاك؛ حين يتحوَّل من رسالةٍ إلى حرفةٍ، وهي تُزهِّـد المسلمين في العمل الدعوي، وتعطي أعداء هذا العمل أسلحة قويةً ضدَّه.

٨٧- مرجعية قيادية واحدة

ينبغي الحذر جداً من أن تكون للعمل الدعوي مرجعيتان، واحدة ظاهرة ودورها شكليّ كأنها مجرد واجهة، والثانية خفية ودورها حقيقيّ تفعل بهذه الواجهة ما تريد، للظاهرة الصورة، وللخفية الفعل. والخفية هي التي تقرر -وحدها- ما تشاء، وتمليه على الظاهرة، أو تضعها في موقف يجعلها تتخذ القرار الذي تريد. إن ذلك تزوير وبهتان، ومخالفة صريحة لمبادئ العمل الدعوي، ولا سيما مبدأ الشورى، وإضفاءٌ لصفة شرعية على قرارات غير شرعية، بل إنه دكتاتورية حقيقية، ومن شأن هذا المسلك المقيت أن يجعل المرجعية الخفية تنظر إلى المرجعية الظاهرة بازدراء واستعلاء، ويجعل المرجعية الظاهرة تنظر إلى المرجعية الخفية بحقدٍ وتربُّصٍ، كما يجعلها ضعيفة

مهزوزة أمام أنصارها، وهذا كله يوجد العداوة والأحقاد ويقود إلى الإخفاق والخذلان، وقد دفع العمل الدعوي الذي كان له مثل هذه الثنائية ثمناً مُرّاً بسببها.

٨٨- خوادع التغيير

إن كلمة "التغيير" من الشعارات المحببة لدى الناس من أهل الدعوة وسواهم، بقطع النظر عمّا في التغيير من صواب وخطأ، والذي ينبغي التأكيد عليه هنا أن التغيير لا يكون إلى الخير بالضرورة، بل ربما كان البديل الجديد أسوأ بكثير على الناس عامّةً، وعلى أهل الدعوة خاصّةً، ومن قديم قال الشاعر

ربَّ يــوم بكيــتُ منـه فلـما ... صِرتُ في غـيره بكيـتُ عليـه

وقديماً قال الصحابي العبقري المسدَّد عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "حاكم غشوم خير من فتنة تدوم"، إنه لم يُثنِ على الحاكم الغشوم، ولكنه نظر إلى البديل، فلزم الحذر.

٨٩- ردَّة الفعل

نحذر من رَدَّة الفعل التي تصيب بعض المصلحين، حين يرون انحرافاً في الفهم أو السلوك، فيتصدون لـه بأكثر مما ينبغي، فيبالغون، أو يضيّقون من مساحةٍ واسعةٍ مباحة.

٩٠- التَّرَفُ العَقْليُّ

التَّرف مفسدة مالية خطيرة تقود إلىٰ مفاسد أخرىٰ في جميع جوانب الحياة؛ لذلك حارب الإسلام التَّرف، وجعل شيوعه في أمة من الأمم نذيراً يومئ إلىٰ الهلاك، من هنا كان علىٰ الدعاة أن يتصدوا للتَّرف ويحاربوه.

علىٰ أن هناك ترفاً آخر ربما كان أخطر ينبغي التصدي لـه، وهو التَّرف العقلي الذي يشيع لدىٰ بعض الدعاة أو الذين يتوهمون أنهم دعاة؛ إذ نرىٰ هذا الترف مثلاً لدىٰ من يتصدىٰ لدراسة فِرْقة انقرضت بما لها وما عليها، ولم تعد تشكل للأمة اليوم أية مشكلة، ونراه لدىٰ من يكتب فصلاً كاملاً، أو كتاباً كاملاً، تقرؤه فلا تعرف بالضبط ماذا يريد، ونراه لدىٰ من يحشد معلومات لا تخدم فكرته بالضرورة، وقد لا تكون صحيحةً أصلاً؛ لأنه يريد أن يوهم القارئ بتميـُّزه وسعة معلوماته، فينقادُ لـه، ونراه لدىٰ من يكتب كلاماً ملتوياً ملفوفاً، ومَرَدُّ ذلك أن الفكرة لديه غائمة، أو أنه لا يجرؤ علىٰ قولها لسبب أو آخر.

إن هذه النماذج وأمثالها لون من التَّرف العقلي، وهو ترف مماثل للتَّرف المادي، إن لم يكن أسوأ، ولا بدَّ أن يحذر منه الدعاة الأسوياء المخلصون، وهو مضيعة للوقت والجهد والمال والأجر، وهروب من المسؤوليات الحقيقية، وقد يكون إلهاءً واحتواءً واستدراجاً من هذه الجهة أو تلك، ولا تغير النية الحسنة -إن وُجِدَتْ- من هذه النتيجة.

٩١- تعصُّبٌ وانحياز

إنَّ من الطبيعي أن ينحاز الداعية للوسيلة التي اختارها؛ ذلك أنه اختارها لما وجد فيها من مزايا تجعلها أفضل من سواها في نظره، وعليه ألّا يدعي لها العصمة والكمال، وألّا يظلم وسائل الآخرين، وهذا هو الانحياز المباح والمحمود والواجب، فإن خالف ذلك وقع في التعصب المذموم الذي يحرمه الإسلام، ويصفه بأنه جاهلية.

وهذا يستدعي أن نتذكر دائماً أن مقياس التفاضل هو التقوى والعمل الصالح؛ الأمر الذي يستدعى بالضرورة تحاشي كل العصبيات الجاهلية؛ من التعصُّب لإقليم أو حزب أو عشيرة أو طائفة من الناس.

٩٢- استعلاء ولكن

استعلاء المؤمن على الباطل صفة حميدة، تدل على ما يعمر قلبه وعقله، مِنْ توكُّلٍ على الله عَزَّوَجَلَّ، وَثِقةٍ راسخة بصحة دينه الذي يدعو إليه.

ولكن المؤمن قد يقع في خطأ بالغ، وهو أن يتحول استعلاؤه على الباطل إلى استعلاء على المدعوين، وهذا الاستعلاء المنحرف هو خديعة من خوادع النفس، توهم صاحبها أنه أحسن من الآخرين، وعليه أن يعتزلهم حتى لا تتلوث طهارته بفسادهم، وعلمه بجهلهم، وعلوه بهبوطهم، فإن وصل إلى هذه الحالة؛ فهو ليس من أهل الدعوة في قليل ولا كثير، بل هو عبء عليها.

إن على الداعية أن يستعلي على الباطل لا على المدعوين، بل عليه أن يشكر الله عَزَّوَجَلَّ الذي شَرَّفه بخدمتهم، وذلك بحبهم، والصبر عليهم،

واستثارة مكامن الخير فيهم، وبذلك يكون قد وضع الاستعلاء في مكانه الصحيح، ونجا من خديعة ذميمة من خوادع النفس، إنه استعلاء الحق والمبدأ، لا استعلاء الفَرْد والحِزْب.

٩٣- عَادةٌ لا دِين

في بعض الأحيان يصبح لبعض العادات والتقاليد والأعراف ثقل كبير؛ بحيث تبدو كأنها دِين، وما هي من الدِّين، ويمكن ملاحظة ذلك في الأفراح والأحزان والعلاقات الاجتماعية عامة، وفي الموقف من المرأة خاصة، وعليه ينبغي لنا أن نميز بين العَادة والدِّين، وأن نحكم على العادة قبولاً أو رفضاً بعرضها على الدين.

٩٤- انكفاءٌ وارتماءٌ وارتخاءٌ

هناك من أبناء الدعوة من يهرب إلى الماضي المجيد للأمة، فيكثر من الحديث عنه، والتغني به، والانتماء إليه، دون أن يفعل شيئاً قليلاً أو كثيراً مما يقدر عليه، متوهماً أنه بهذا العمل قد أبرأ ساحته من التقصير، فينكفئ على ذاته دون مشاركة فاعلة في صوغ الحاضر وبناء المستقبل.

وهناك من يهرب إلى الحاضر البائس للأمة، فيكثر من الشكوى والبكاء واللوم وإلقاء التبعة -بحق أو باطل- على هذه الجهة أو تلك، دون أن يفعل قليلاً أو كثيراً مما يقدر عليه، متوهماً أنه بذلك قد أخلى مسؤوليته، فيرتمي في أحضان اليأس والنزاع دون تفعيل لدوره ووظيفته في الحياة، ودون استشعار لرسالته الاستخلافية التي شرّفه

الله بها على سائر العالمين.

وثمة صنف ثالث يهرب إلى المستقبل فلا يعمل شيئاً، مترقباً قدوم الإمام المجدد، أو المهدي المنتظر، أو القائد الملهم، أو البطل المنقذ؛ متوهماً أن قدومه سيكون إيذاناً بحل كل المشكلات، وتحقيق كل الآمال، دون حسبانٍ للسُّنَن المطَّـردة، والقوانين المحايدة، والعادات الجارية، فترتخي فاعليته الحضارية، ويفقد قيمة عليا حاكمة وهي قيمة العمران.

إن هذه الأصناف الثلاثة إنما تهرب في الحقيقة من مسؤوليتها التي تقدر عليها، وتخترع الأعذار المردودة لعجزها، وتخادع نفسها بنفسها، وهي عبء على العمل الدعوي، وعلى الحياة.

إن المطلوب أن يعرف المسلم دعوته، وعصره، ويعرف ما يقدر عليه؛ فيؤديه بإخلاص وإتقان، كبيراً كان أم صغيراً، والقليل على القليل يصنع الكثير، والقطرة على القطرة تصنع النهر، وإذا رأى الله عَزَّوَجَلَّ من عباده الإخلاص والإتقان قَبِلَ العملَ ونمَّاه أياً كان حجمه، ففازت منه الأمة بأحسن الثمار، وأفضل الأعمال.

٩٥- سَمَرٌ فارغٌ ومدمِّر

ومن خوادع النفس أيضاً أن يتلاقى بعض الدعاة في مناسبات مختلفة، هي إلى السَّمر الفارغ أقرب منها إلى العمل النافع، فيتحدثون، ويشرّقون، ويغرِّبون، وينتقدون هذا الشخص أو ذاك، وهذه الجهة أو

تلك، ويصبّون جام سخطهم على شأن من الشؤون، ويتمنون ويسرفون في الأماني في شأن آخر، ثم ينفضُّون دون عمل نافع، وهم يتوهمون أنهم قد أعذروا إلى ربهم، حيث نصروا دينه بما استطاعوا، والحقيقة أنهم لم ينصروا دينه بشيء، بل خدعوا أنفسهم بهذه الثرثرة التي يعودون إليها بين الحين والآخر، تزجية للفراغ، وإرضاء لشهوة الكلام.

إن عملهم هذا تنفيس كاذب عما يشعرون به من رغبة في خدمة الدين، يغشون به أنفسهم، ويغشون به بعضهم، ويتبادلون به أكواباً وهمية من الرضا، ويهربون به من واجباتهم الحقيقية، ويضفون على عجزهم وسلبيتهم وثرثرتهم لبوساً دينياً لا يستحقونه في قليل ولا كثير.

٩٦- قُصُور بالغ

يتسم أداء كثيرٍ من المسلمين، ومنهم العناصر الدعوية، بقصورٍ بالغٍ في شؤون دينهم ودنياهم، وهو أمرٌ يتناقض مع ما منَّ الله به عليهم من نِعَمٍ جليلة تؤهلهم ليكونوا قادة البشرية، وصناع الحضارة، من عقيدةٍ صحيحةٍ دافعةٍ، وثرواتٍ واسعةٍ، وموقعٍ إستراتيجيٍّ مهمٍّ، ونموٍّ بشريٍّ متزايد. لذلك ينبغي لعقلائهم أن يعكفوا على دراسة هذه المشكلة بحيث يخرج المسلمون من العطالة إلى الفاعلية، ومن القصور إلى الإنجاز، وأهم ما يعين على ذلك الجدية، والإبداع، والتقويم، والتنافس، والإتقان، وتكافؤ الفرص، والعمل المؤسسي، وتشجيع المحسن، ومحاسبة المسيء، وحبّ العمل.

٩٧- مخاطر السِّرِّيَّة

نحذر جداً من قضايا التأويل، والسِّريّة، والباطنية في الفكر الإسلامي، والعمل الإسلامي، ونؤكد على أن الإسلام دين كامل واضح، وكل مبادئه وأفكاره علنية، وأنه لا سِرَّ فيها، ولا إضافة عليها.

إنَّ علانية العقائد قوَّة لها؛ لأن الإنسان يُعلن ما يعتـزُّ به، ثمَّ إن الناس يستجيبون بفطرتهم للأفكار الواضحة العلنية المفهومة السَّوية، وينفرون بفطرتهم من الأفكار المبهمة السرية المائعة المشوَّهة.

وأخطاء السر تضر بأصحابها أكثر مما تضرُّ بأعدائها، كما أن سريتها تجعلها تتفاقم؛ لأنها في الظلام فلا تُرى، خلافاً لأخطاء العَلَن التي يمكن تداركها لأنها في النور.

٩٨- مخاطر التَّعميم

تَشِيع آفة التعميم الضار في كثير من أدبيات الدعاة؛ فمثلاً يقع التقرير أن القوى غير المسلمة لا تلتقي إلّا على حرب الإسلام، وأن أعداء الإسلام كأنهم على كلِّ شيءٍ قادرون، وأن كلَّ عملٍ إسلاميٍّ رسميٍّ هو خديعة ومؤامرة واحتواء وضرار ينبغي الحذر منه، وأن كل عملٍ إسلاميٍّ شعبيٍّ هو خير محضٌ، وصواب تامٌّ، وأن الخط البياني للأمة الإسلامية في صعود مطَّـرد لدى فريق، أو في هبوط مطَّـرد لدى فريق آخر، وأن المؤامرة موجودة في كلِّ شيءٍ لدى فريقٍ، وأنها غير موجودة نهائياً لدى فريقٍ آخر، وهذا التفكير يفتقد

الإنصاف، والموضوعية، ويقع في السذاجة والتسطيح، ويلجأ إلىٰ الأحكام الجاهزة العجلىٰ المُعلَّبة، ويريح ذويه من واجب البحث عن البدائل والحلول والمبادرات، ويوهمهم أنهم معذورون إذا ركنوا إلىٰ الكسل والسلبية؛ لأنهم -كما يرون، أو يخيَّـل إليهم أنهم يرون، أو يتمنون أنهم يرون أنفسهم- أمام طوفانٍ من القوىٰ الشريرة لا قِبَلَ لهم بها، ثم إن هذا التفكير مخالفٌ لسنة الله تعالىٰ في التَّدافُع. إن واجب المسلم أن يحذر من هذه التعميمات الضارة وأمثالها، وأن يشعل نور عقله وحماسة قلبه، ويحسن تحليل الأمور، ووضعها في أنصبتها، ويجهد نفسه في فهم الأسباب والمسببات، والعلل والنتائج، وفي اختيار الحلول واختراعها، وألّا يقع في أَسْر الأوهام، ومنطق الاختيار الملزم بين متناقضين لا بدَّ من أحدهما الأسود أو الأبيض، والملاك أو الشيطان، والسهل أو المستحيل، والتهوين أو التهويل.

٩٩- المؤامرة

كثر الحديث في العقود الأخيرة عن المؤامرة بين من يعممها، ومن ينكرها، ومن يتحفَّظ في موقفه تجاهها.

والحقيقة أن المؤامرة وُجِدَتْ منذ وُجِدَتِ البشريةُ، وسوف تبقىٰ، ولكن لا يصحُّ لنا ديناً، ولا عقلاً أن نفسِّر كل شيءٍ علىٰ أنه مؤامرة، وعلينا أن نعرف أن المؤامرة تنجح مرةً، وتخفق مرةً، وتنقلب علىٰ أصحابها مرةً، وأن نتعامل معها بعيداً عن الطرفين المتناقضين الخاطئين، وهما التهويل والتهوين، وذلك بوضعها في حجمها الصحيح، وأن

ننشغل بقوانين الصراع والوفاق مع الآخرين أكثر مما ننشغل بتفاصيله، وألّا نعلِّق أخطاءنا وعجزنا على مشجب المؤامرة.

إن الأخطر من المؤامرة علينا أن نقع ضحايا الغفلة عنها، أو سوء التعامل معها، أو إهدار الأسباب التي أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بها.

١٠٠ - تناقضات نافعة

من الأوهام الشائعة لدى بعض الدعاة أن القوى المعادية للإسلام تقف في صفٍّ واحدٍ ضده وبشكل دائم، والصواب أن القوى المعادية تجتمع على حرب الإسلام مرةً، وتختلف مرة، بل إنها في بعض الأحيان تتخذ مواقف تؤدي إلى نفع الإسلام والمسلمين بقطع النظر عن الدوافع التي تقف وراء ذلك.

ينبغي للعقل المسلم أن يدرس القوى الـمُعادية، ويدرك بدقةٍ ما بينها من تناقضات، ويوظف هذه التناقضات لصالح البلاد والعباد، أما الاستغراق في وَهْم التعميم، فهو مخالفةٌ لسُنّة الله تعالى، ومخالفةٌ لحقائق التاريخ قديماً وحديثاً، وهو كسلٌ عقليٌّ يريد أصحابه منه الهرب من إعمال العقول لرصد التناقضات واختراع الحلول، وهو أيضاً خديعةٌ نفسيةٌ يريد أصحابها منها إيهام أنفسهم بأنهم معذورون في كَسَلِهم وجُبْنِهم؛ لأنهم يواجهون قوى لا قِبَلَ لهم بها في قليلٍ أو كثيرٍ.

الخـــاتمة

لقد سقطت الشيوعية في نهاية القرن العشرين، والرأسمالية الغربية تمرُّ اليوم بامتحانٍ عسير؛ فقد اهتزّت مسلَّماتها الكبرىٰ، وأصبحت قواعدها الأساسية موضع تساؤل كبير، والملاحظ اليوم في الغرب أن عوامل قوته وتفوقه التي ساد بها تتراجع، وأن عوامل الهبوط تأتينا منه كل يوم بجديد، وإنَّ سنن الله عَزَّوَجَلَّ لا تتخلف، ولا تحابي أحداً.

لم يبق من أحدٍ تؤهله إمكاناته ليكون مَنْ ينقذُ البشرية إلا أنتم يا دعاة الإسلام، فكونوا علىٰ مستوىٰ دينكم، وعلىٰ مستوىٰ عصركم؛ لتكونوا ربَّـان السفينة، فتحسنوا إلىٰ أنفسكم، وإلىٰ الناس أجمعين، من مسلمين وغير مسلمين.

إن مسؤوليتكم عامة تمتدُّ في الزمان والمكان والإنسان، ودعوتكم هي خطاب الرحمة، وشريعة التخفيف، ورفع الحرج والأغلال، والرفق بالناس كل الناس في الأرض كل الأرض، وعليه ينبغي لكم أن تعـوا مهمتكم وعياً جيداً.

وتعلّموا أنكم دعاة لا قضاة، ومصلحون لا مغامرون، وبنّاؤون لا هدّامون، وراحمون لا حاقدون، تعملون بروح الأب مع أبنائه، والطبيب مع مرضاه، لا بروح السجَّان الذي يبطش، والموتور الذي ينتقم.

إنكم حين تفعلون ذلك تكونون راشدين ومرشدين، ومهتدين وهادين، وتكونون الأنفع لعباد الله عَزَّوَجَلَّ، والخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، عندها سيعطيكم الناس -وعن طواعية- زمام قيادتهم إلىٰ الخير والنور والسلام.

إن هذا الميثاق يضم مجموعة من القواعد المقترحة، وهي من مبتداها إلىٰ منتهاها حصيلة خبرة طويلة، وقراءة مستمرة، ونظر فاحص، ومعاناة وتجربة ومتابعة؛ يراد لها أن توضع بين أيدي المسلمين بشكلٍ عامٍ، وحكمائهم بشكل خاصٍ؛ لتكون ميثاقاً للعمل الدعوي، ودستوراً للفكر والممارسة؛ بحيث تزداد مساحة الوفاق، والصواب، والفاعلية، وتقلُّ مساحة الخلاف، والخطأ، والعطالة.

والمأمول أن تحظىٰ من العاملين للإسلام بدراسة عميقةٍ، تنتهي بإبداء الرأي فيها حذفاً، وإضافة، ودمجاً، وتعديلاً وتقديماً وتأخيراً، واقتراحاً، وتقويماً.

وإننا إذ نَعِدُ الإخوة الكرام الذين يتفضلون بالكتابة إلينا أن كتابتهم ستكون محل العناية والتقدير والشكر؛ نطلب منهم أن ينظروا إلىٰ هذه المذكِّرة علىٰ أنها منهم وإليهم، فليكتبوا ما يشاؤون مشكورين مأجورين.

إن طرح الأفكار في النور، ومناقشتها في العلن، هو الأسلوب الأمثل لمعرفة ما فيها من خطأ أو صواب، ومن هنا جاءت الرغبة في استثارة الهِمّة لدىٰ المعنيين بأمر الدعوة؛ للاستفادة من آرائهم فيها،

بهدف تحسينها؛ لتكون أقرب إلى الكمال، فتكون بذلك جديرة بأن توضع بين أيدي المنظمات والجمعيات الإسلامية، فهي هديتنا إليها، تأخذ كل منظمة وجمعية منها ما يناسب خصوصيتها، وتضيف إليها، وتطور فيها، وفي ذلك خير كثير بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن الله العون والتوفيق، نسأله سبحانه أن يوفقنا لمرضاته، ويستعملنا في طاعته، إنه على كل شيء قدير.

*****

تم بحمد الله

هذا الكتاب

دعوةٌ للمسلمين عامة، والدعاة منهم خاصّة إلى التلاقي على مجموعة من القواعد والضوابط والمبادئ؛ تُشكّل في مجموعها ميثاق شرفٍ للعمل الدعوي، ودستور ثقافة للفكر والممارسة؛ بحيث تزداد مساحة الوفاق، والصواب، والفاعلية، وتقلُّ مساحة الخلاف، والخطأ، والعطالة.

محاولةٌ لبناء عمل دعوي معتدل قائم على مبدأ الوحدة والتنوع؛ وحدةٌ في المنطلقات الفكرية والعقدية التي أسهمت في تأسيس أرضية واعية بثوابت الإسلام، ومن ثمّ رسم رؤية كونية كُلية للحياة؛ وتنوعٌ في إطار المشترك الإنساني والثقافي؛ إذ تُتاح للعقل المسلم فرصة الإبداع ضمن مجاله الثقافي والاجتماعي، فيُحدِث بصمته الخاصة.

قراءةٌ تجمع بين العلم والتجربة، والوجدان والتخطيط الاستراتيجي القائم على التخطيط. وهي تهدف إلى تحليل المشهد الدّعوي ضمن أبعاده الزمانية والمكانية، ومن ثمّ استقراء هذا المشهد في بُعده الحضاري، وصولاً إلى آليات معرفية ومنهجية وتطبيقية، قادرة على الارتقاء بعملنا الدعوي، للكشف عن مكامن الفاعلية الإنسانية في أداء مهمة التسخير والاستخلاف وإعمار الأرض.

هشام يحيى الطالب

من مواليد الموصل بمحافظة نَيْنوي بالعراق عام ١٩٤٠م، حصل على درجة البكالويوس في الهندسة الكهربائية من جامعة ليفربول عام ١٩٦٢م، وعلى درجة الدكتوراه في الهندسة الكهربائية من جامعة بردو بمدينة لافاييت بولاية إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٤م.

انخرط في العمل الإسلامي العام في أمريكا الشمالية، وهو العمل الذي ما زال مستمراً فيه حتى اليوم. شغل مناصب عدةً في منظماتٍ إسلاميةٍ مختلفةٍ، فكان أول مديرٍ متفرغٍ بإدارة التدريب القيادي بجمعية الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا (MSA) ١٩٧٥-١٩٧٧م. وتقلّد منصب الأمين العام للاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية (IIFSO) عام ١٩٧٦م، ونظّم العديد من دورات التدريب القيادي والندوات داخل أمريكا وخارجها.

عضو مؤسس بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي عام ١٩٨١م، وله العديد من المؤلفات، منها: كتاب: دليل التدريب القيادي للعاملين المسلمين، الذي تُرجم حتى الآن إلى أكثر من عشرين لغةً. وكتاب: التربية الوالدية: رؤية منهجية وتطبيقية في التربية الأُسريّة. يشغل حالياً منصب رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن العاصمة. الموقع الإلكتروني: hishamaltalib.com

ISBN 978-1-945886-02-7
9 781945 886027